

# الفصل الخامس

المجلس الثاني



## ( 116 : 1 ) المجلس الثانى

قال المخبر : فلما اندمل جرح الفراق بعد طول ، وزمان مطول (1) ومحا - رسم التذكر - تكرر فصول ، ونصول خضاب (2) ، وخضاب نصول (3) ، بينا أنا ذات يوم فى بعض أسواق الغبار ، أسرح طرف الاعتبار ، فى أهم تنسل من كل حدب ، وتنتدب من كل منتدى ومنتدب ، ما بين مشتمل للصماء يلويها ، ولائث للعمامة لا يسويها ، ومتلفظ بالشهادة وهو لا ينويها ، وصاعد من غور ، ومتظلم من جور ، وممسك بذنب غير أو روق (4) ثور ، يموجون ، ومن الاجداث يخرجون ، كأنهم النمل نشرها وقد برزت للشمس ، من مطر الامس ، يشيرون ( 116 : ب ) بأجنحة الاكسية ، ويتساقطون على ثمد القلب (5) وأسئار الاحسية (6) ، وقد اصطف ذابحو الجزور ، ويأئعو اللبوب (7) والبذور (8) ولصق بالاملياء (9) حللة العقد وشهدة الزور ، ونظرت فى ذلك المجتمع الهائل المرأى والمسمع .

الى درسة غى ، وطهارة كى ، ورقاة جنون ، بضروب من القول وفنون ، وفيهم كهل قد استنظل بقيطون (10) ، وسل سيف

- (1) فى نسخة (ط) « مطول » .
- (2) نصول خضاب : ذهاب الحناء .
- (3) خضاب نصول : حناء مزالة .
- (4) روق ثور : قرن ثور .
- (5) ثمد القلب : حفر الابار .
- (6) اسئار الاحسية : بقايا الماء فى المستنعات .
- (7) اللبوب : الجوز واللوز .
- (8) البزور والابزار : التوابل .
- (9) الاملياء : ج ملى ، كفى وزنا ومعنى .
- (10) قيطون : يطلقها اهل المغرب على الخيمة ، والجمع : قياطين .

لاطون (11) ، وتحدي برقية لديغ ومداواة مبطون ، قد اشتمل بسمل غفاره وبين يديه غبار في جلد غاره ، وطحن من اطعام كفارة (12) . وأمامه تلميذ قد شمر الاكمام ، والثفت الخلف والامام ، وصرف لوحى لحظه - الاهتمام . وهو يأسو ويجرح ، ويتكلم بلسان القوم ثم يشرح ، ويقيد من حضره بقيد الغزيمة فلا يبرح . ويقول :

أيها اليهم السارح ، والحزب المسرور بما لذيده الفارح ، والسرب الذي تفتتته لولة البغى الجوارح (13) . صرفتم غروب اعتنائكم ، لمآرب نسايتكم وأبنائكم ، وذهلتن عن حل بغنائكم ، وجعلتم تطعمون وتجمعون ، « انما يستجيب الذين يسمعون » (14) . من وقعت على منكم عينه ، فقد رأى فاتح أقال الاسرار ، ومثبت ( 117 : أ ) الفرار ، ومصمت أولئك الصرار ، ومغور مياه الآبار بيسير الغبار ، ومخرج الاضمار فى المضمار ، ومذهب المس وطارذ العمار (15) .

أنا قاطع الدماء اذا نزلت ، وكاشف الغماء اذا ما انكشفت ، أهنا (16) الأبل فلا تجرب ، وأخط حول الحمى فلا تدنو السباع ولا تقرب ، وأدخن بها فلا تتسلل الحية ولا تدب العقرب ، ان نعت الشمس - لوقت محدود - طمس فيها نورها (17) ، وان وعدت الارض برى

11) يرجح استاذنا عبد الله كون انها ربما تكون مشتقة من الكلمة الاسبانية لاطون « Laton » بمعنى النحاس ، فقد استعملها المقرئ فى كتابه « نفع الطيب » بهذا المعنى .

12) لولة البغى : يقصد بهم شرطة الكوس .

13) كان العامة يعتقدون نوعا من الشفاء فى مثل هذه الامور .

14) اقتباسا من قوله تعالى : « انما يستجيب الذين يسمعون ، واليه يرجعون » ، سورة الانعام ، آية : 36 .

15) العمار : الجن يسكنون البيوت .

16) أهنا الأبل : اطلت الأبل بالقطران .

17) كناية عن تنبؤه بأحوال الطقس .

محمود فار تنورها (18) ، وان كتبت لعقد النكاح انحلت ، وان عقلت خطى الضالة وقفت حيث حلت ، وان زجرت الجنون تركت وختت ، وان استنثرت الدفائن ألت الأرض ما فيها وتختت (19) . أنا جردت البيضة الشقراء ، وزوجت الفتى الشرقى من الجارية العذراء . أنا صافحت الملك ، ورصدت الفلك ، ومزجت - بسر الحكمة - الضياء والحلك ، فاحتقرت الملك وما ملك .

دعوت علم الطباع فأطاع ، وقطعت شكوك الهيئة بالشكل القطاع ، وقلت بالقدر وبالاستطاع ، وسبقت في صناعة البرهان (20) يوم الرهان . ورضت صعاب الرياضيات حتى ذل قيادها ، وسهل انقيادها ، وعدلت الكواكب ( 117 : ب ) واختبرت القلوب اليابانية والمناكب ، وبشرت عند رجوع خنسها (21) بالغيوث السواكب ، ووقفت بالامتحان ، على صناعة الالحن ، وقرأت ما بعد علم الطبيعة ، وفاظرت قسيس البيعة (22) ، وأعملت في الاصول مرهفة النصول ، وأحكمت أمزجة الطباع وطبائع الفصول . وامتزت بالبروع في علم الفروع ، وقمت في العهد الحديث بالحديث، وحزت في علم اللسان درجة الاحسان . وحققت قسمة الفروض،

- (18) فار تنورها : فاضت مياهها .  
(19) اقتباسا من قوله تعالى : « واذا الأرض مدت ، والقت ما فيها وتختت » سورة الاتساق ، آية 3 ، 4 .  
(20) يقصد علم المنطق والمناظرة في البحث العلمى .  
(21) خنسها : الخنس ، قيل : الكواكب كلها ، وقيل : السيارات منها فقط ، وقيل : الخنس ، هى زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد . وقد أقسم الله تعالى بها في قوله : « فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ... انه لقول رسول كريم » آية 15 - 19 من سورة التكوير .  
(22) قسيس البيعة : يرمى بهذا الى ما كان يحدث أحيانا بين بعض المسيحيين المستعربين من جهة ، وبين الاندلسيين الذين انتنوا لغة المسيحيين من جهة اخرى ، فهؤلاء وأولئك كثيرا ما التحما في مجادلات دينية .  
راجع ابن الخطيب في : الاحاطة ، لوحة 111 ، 222 من مخطوطة جاييجوس بالاسكوريال .

وعدلت الشعر بميزان العروض ، ونظمت ونثرت ، وأكثرت فما عثرت .  
وعبرت حلم النوم ، ولبست الخرقه بشرط القوم (23) ، ولزمت خلوة  
الذكر ومعتكف الصوم .

وأما معرفتى بالاخبار ، وزرع الارض بالاثبار ، ما بين جليقية (24)  
الى الانبار (25) ، وأوصاف المدن الكبار - فقد ثبت بالاختبار .

قال : فأثار قديمى ، وأذكرنى بنديمى ، فقلت : الله أكبر ، أوضح  
- الخبر - المخبر . فحضت اليه ومن بينى وبينه وهم بحر زاخر ،  
وأول ليس له آخر ، وبهم يسخر منه الساخر ، ما بين كبش مجتر  
وعجل ناخر (26) . وقلت : أيها الحبر ، ضالتي قريب أمدها ، معروف  
معتمدها . وعلى ذلك فالشكر ( 118 : أ ) ممنوح ، والرغد طوفان نوح .  
فالان (27) العريكة ، وسلم النطع والاريكة ، وقال : أجل وأعرض ،

(23) بشرط التويم : يعنى وفق شروط قوم الصوفية فى اللباس المرقع .  
(24) جليقية : ادارة اسبانية انشأها « فرناندو الاول » لابنه « غارسيا » ، ضمت الى  
قشتالة عام 1662 م = 1073 هـ ، وتمتع أمراؤها ببعض الاستقلال الذاتى  
الى اواخر القرن الخامس عشر ، موقعها شمالى الاندلس فى أقصى الغرب .  
وقد وصل الى هذا المكان « موسى بن نصير » لما فتح الاندلس ، وينسب  
الى هذه الناحية « عبد الرحمن بن مروان الجليقى » من الخارجين بالاندلس  
أيام بنى أمية .

راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .  
(25) الانبار : آثار مدينة تديبة فى العراق على ضفة الفرات ، فتحها خالد بن الوليد  
القائد الاسلامى على عهد الخليفة أبى بكر الصديق عام 634 هـ (1236 م) .  
وكانت مقرا للخلافة الاسلامية حتى تأسست بغداد ، فأضحت حاضرة الخلافة  
حيث جدها أبو العباس السفاح ، أول خليفة عباسى . وينسب لهذه المدينة  
القاضى أحمد بن نصر بن الحسين الأتبارى .

راجع : المعجم للحموى ج 3 ص 257 .  
(26) مجل ناخر : أى يمد نفسه بن خياشيمه .  
(27) فى نسخة ( س ) « فالن » بصيغة الامر ، ولعل سياق المحاوره يتمشى مع  
نسختنا .

وأنزل السؤال وافرض . فقلت : بى الى تعرف البلدان جنوح وجنون ،  
والجنون فنون ، وقد ظفرت قبلك بنقاب (28) ، وعود احتقاب ، وسارب  
أنقاب (29) ، حصل به من طلبى الشطر (30) ، ويك يتم  
الشكر (31) ، ويعظم الخطر . فقال : الناس متهم (32)  
ومنجد (33) ، ( وخائل وممجد ) ، ولا تجود يد الا بما تجد .

والله المرشد . وجعل ينشد :

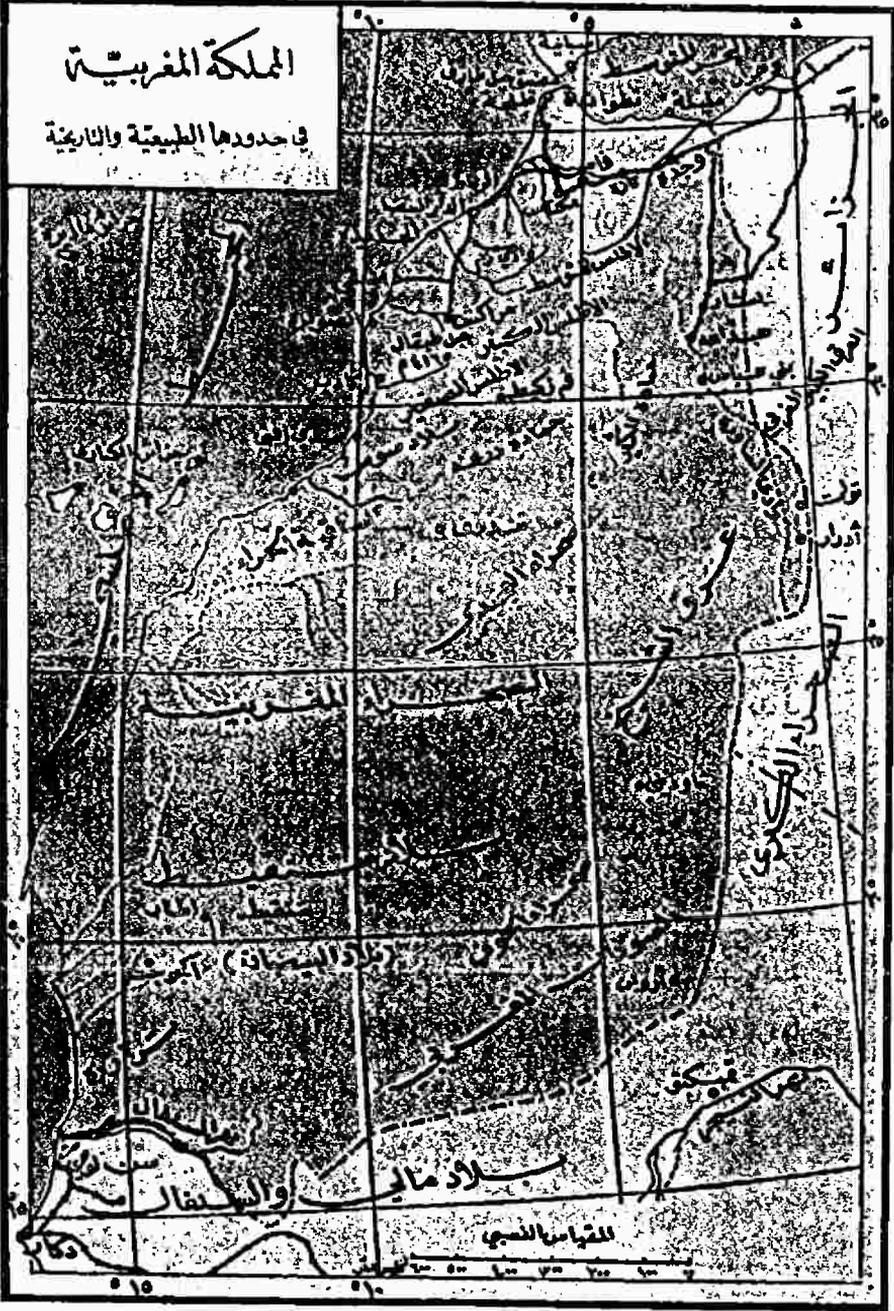
إذا المشكلات تصدين لى كشفت غوامضها بالنظر  
ولست بامعة فى الرجال أسائل هذا وذا : ما الخبر (34)  
ولكننى مذب الاصغرين أبين - مع ما مضى - ما غير (35)

ثم قال : هات ، أمن عقدك الشبهات .

- (28) نقاب : رجل علامة .  
(29) سارب انقاب : السارب ، هو الذاهب على وجهه بالانقاب ، وهى الطرق فى  
الجبل .  
(30) فى نسخة (س) « الشكر » .  
(31) فى نسخة « الشطر » .  
(32) متهم : ساكن تهامة ، وهى اراضى السهل الساحلى الضيق ، الممتد من شبه  
جزيرة سيناء شمالا الى اطراف اليمن جنوبا ، وفيها مدن نجران وجسدة  
وصنعاء ، وسكانها يميل بعضهم الى الزراعة بينما يميل البعض الى التجارة  
والملاحة وصيد اللؤلؤ .  
(33) منجد : ساكن نجد ، ونجد ، اقليم بالسعودية ، والماصمة الرياض ، وهى بلاد  
جبلية فى شمال شبه جزيرة العرب ، تقيضها تهامة ، وهى البلاد الساحلية  
الغربية هناك .  
(34) فى نسختى (س ، ر) « وما الخبر » بالواو ، وهو خطأ فى الوزن ، وهكذا اوردها  
موللر .  
(35) فى نسختى (ط ، س) « وما غير » ، وهو خطأ فى الوزن ايضا ، وقد اوردها  
موللر هكذا ايضا .

# المملكة المغربية

في حدودها الطبيعية والتاريخية



المقياس الكيلوميتر

## 1 - « بـادس » (36)

قلت : ما تقول في بادس ؟

قال : بدأت بحمدلة الرقعة ، وبركة البقعة ، ومدفن الولي (37) ، والنحر غير العاطل ولا الخلى من الحلى . بلد السراوة والشجاعة ، والايثار على فرض المجاعة ، والنفوس الاوابة ( الى الله ) الرجاعة ، حيث البر والحوت ، والخشب الذي ينشأ منه كل منحوت ، والبأس والاقدام ، والفاكهة الطيبة والادام ، ( 118 : ب ) ورب الجبال ، وفضل للمدافعة لصهب السبال . الا انها موحشة الخارج ، وعرة المعارج ، مجاورة غمارة (38) بالمارد والمارج ، فهم ذوو ديبب ، في مدارج تلك الغرابيب (39) ، وكيدهم - ببركة الشيخ - في تتبيب (40) .

36 بادس : مدينة اندثرت في اواخر القرن السادس عشر الميلادي ، حيث خربها الاسبان ، ويقال لها : « باديس » « وبادس غمارة » ، كما يقال لها « بادس فاس » تمييزا لها من « بادس الزاب » الواقعة بالجزائر ، اما الاولى فكانت تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وتبعد عن « الحسيمة » بنحو 40 كم راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 من السنة الاولى 1962 م ، وكذا ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 2 ص 29 .

37 يقصد بالولي هذا : ابو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلي البادسي ، نسبة الى بادس . ( 640 - 734 هـ = 1242 - 1333 م ) عالم متصوف ذكره ابن خلدون عرضا في حديثه عن قبائل البربر . عاصر الملك ابا الحسن البريني ، وقد عثر مؤخرا على مخطوط الفه « ابو محمد الاوربي » في مناقب ابي يعقوب البادسي .

راجع : صحيفة الميثاق المغربية عدد 7 ، 8 من السنة الاولى 1962 م .

38 غمارة : قبيلة بربرية ، وتسمى الجبال التي تسكنها بهذا الاسم ايضا .

39 مدارج غرابيب : طرق حالكة السواد .

40 تتبيب : هلاك .

## 2 - « سبتة » (41)

قلت : فمدينة سبتة ؟

قال : عروس المجلى ، وثنية الصباح الاجلى . تبرجت تبرج العقيلة ، ونظرت وجهها من البحر في المرآة الصقيلة ، واختص ميزان حسناتها بالاعمال الثقيلة . واذا قامت بيض أسوارها مقام سوارها ، وكان جبل بنيونش (42) شمامة أزهارها ، والمنارة منازه شوارها (43) ، كيف لا ترغب النفوس في جوارها ، وتخيم الخواطر بين أنجادهما وأغوارها !! الى المينا الفلكية ، والمراسى (44) الفلكية ، والركية الزكية (45) ، غير المنزورة ولا البكية (46) ذات الوقود الجزل ، المعد للازل ، والقصور المقصورة على الجد والهزل ، والوجوه الزهر السحن ،

41 سبتة : هي Ceuta احدى المدن الساحلية على شواطئ البحر الابيض المتوسط شمال المغرب ، ولكنها تتبع حاليا اسبانيا ، لها تاريخها على مر العصور الوسطى الاسلامية ، من حيث كونها قاعدة سياسية هامة ، وقد اتخذها الامويون في العصر الاسلامى قاعدة يصدون منها تيار الفاطميين . وفي القرن الثالث عشر استولت عليها أسرة اندلسية اسمها « بنى العزمى » ، وبقيت تحت حكم بنى الاحمر فترة من الوقت ، ثم استولى عليها البرتغال في القرن الخامس عشر ، واخيرا استولى عليها الاسبان ، وما تزال تحت حكمهم حتى اليوم . ومنها « مرانة السبتى » من اعلم الناس بالحساب والهندسة والفرائض والتاليف ، ومن تلاميذته ابن مرانة الفرضى « الحاسب » ، يقولون : انه كان من اهل بلده ، وكان المعتمد بن عباد يقول : « اشتهيت ان يكون عندى من اهل سبتة ثلاثة نفر : « ابن غازى » الخطيب ، « وابن عطاء » الكاتب ، « وابن مرانة » الفرضى .

انظر : معجم البلدان للحموى ج 10 ص 182 - 183 .

42 بنيونش : قرية تجاور سبتة من الغرب ، لا زالت آثارها باقية حتى اليوم .

43 شوارها : حسننها .

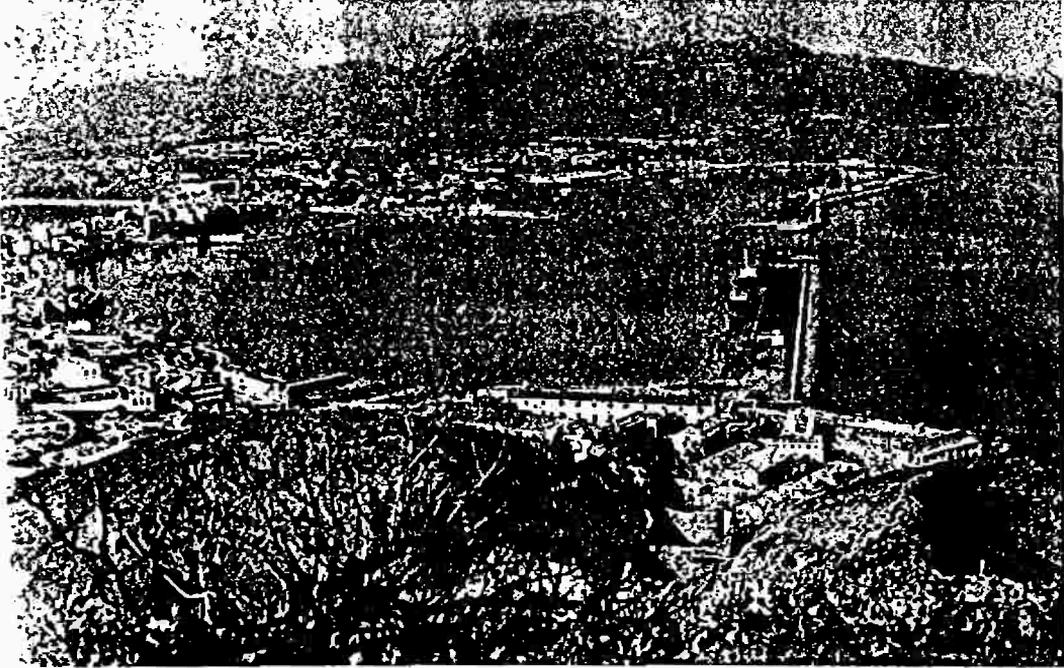
44 في نسخة « س » والمراتى ، بدل « والمراسى » .

45 الركبة الزكية : البئر الطاهرة .

46 البئر غير البكية : هي التي لا تفيض فيض الدموع حين البكاء ، والتعبير عموما

كناية عن أن منسوب المياه فيها معتدل .

## سبتة



ساحل المدينة وجبل بنيونش

المضنون بها عن المحن . دار الناشبة ، والحامية المضرمة للصرب  
 المناشبة ، والاسطول المرهوب ، المحذور الالهوب ، والسلاح المكتوب  
 المحسوب ، والاثر المعروف المنسوب . كرسى الامراء والاشراف ،  
 والوسيطه لخامس اقاليم البسيطة ، فلا ( 119 : أ ) حظ لها في  
 الانصراف .

بصرة علوم اللسان ، وصنعاء الحل الحسان ، وثمرة امتثال قوله  
 تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » (47) ، الامينة على الاختزان ،  
 القويمة المكيال والميزان ، محشر أنواع الحيتان ، ومحط قوافل  
 العصير والحريير والكتان ، وكفاها السكنى ببنيونش (48) في فصول  
 الزمان ، ووجود المساكن النبيهة بأرخص الاثمان . والمدفن المرحوم  
 غير المرحوم ، وخزانة كتب العلوم ، والآثار المذبذبة عن أصالة العلوم (49)  
 الا أنها فاغرة أمواه الجيوب (50) للغيث المصبوب ، عرضة للرياح  
 ذات الهبوب ، عديمة الحرث غمقيرة من الجيوب ، ثغر تنبو (52) فيه  
 المضاجع بالجنوب . وناهيك (59) بحسنة تعد من الذنوب ، فأحوال  
 أهلها رقيقة (52) ، وتكلفهم ظاهر. مهها عرضت وليمة أو عقيقة ،  
 واقتصادهم لا تلتبس منه طريقة ، وأنساب نفقاتهم — في تقدير الارزاق —  
 عريقة ، فهم يمصون البلالة مص المحاجم ، ويجعلون الخبز في الولايم  
 بعدد الجماجم ، وفتنتهم ببلدهم فتنة الواجم ، بالبشير الهاجم (53) ،

47) اقتباسا من قوله : « ان الله يامر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى  
 عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » سورة النحل ، آية : 9.

48) هي « Beliones » قرية تجاور سبتة من الغرب ، كانت تشتهر بحماماتها  
 وبساتينها وانهارها ، ويسمى الجبل هناك باسمها .

49) العلوم : العقول ، والمفرد ، حلم .

50) في نسخة ( ط ) « الجنوب » وهي أنسب للسياق .

51) ناهيك : حسبك ، بمعنى يكفيك .

52) في نسخة ( س ) « دقيقة » وكلتاها مناسبة للمعنى العام .

53) كناية عن جهم الشديد لبدهم ، فهم مفتونون بها ، كفتنة الحزين ببشير مندفع  
 نحوه ، أو كفتنة راعى أرض مجدبة تدفق عليها المطر .

وراعى الجديب بالمطر الساجم (54) ، فلا يفضلون على مدينتهم مدينة ،  
( 119 : ب ) الشك - عندي - في مكة والمدينة .

### 3 - « طنجة » (55)

قلت : فطنجة ؟

قال : المدينة العادية ، والبقعة التي ليست بالخبيثة ولا بالردية ،  
اليها بالاندلس كانت نسبة المغاربة ، والكتائب المحاربة ، والرفق (56)  
السائحة في الارض الضاربة . سورها ليس بمثلوم ، وساكنها غير ملوم ،  
وفضلها معلوم ، ودارها ليست بدار لوم . ميدان أفراس كبير ، ومعدن  
هند (57) وذكير (58) . مثلت بين المنار والقالة «59» ، وحكماها  
في التفضيل ، فأشكل الحكم وتعذرت المقالة ، ولم يصح البيع ولا وجبت  
الاقالة . هذى سماء بروج ، وهذى أزهار مروج ، وكلاهما مركب سرور

54) المطر الساجم : الكثير المنصب .

55) طنجة: « Tanger » إحدى مدن المغرب القديمة ، موقعا على المحيط الاطلسي  
بينها وبين أوروبا مسافة مضيق جبل طارق . عرفها الفينيقيون مركزا تجاريا  
هاما ، ثم القرطاجنيون كذلك في تبادل السلع الهامة ، وتموين السفن التي في  
طريقها الى المحيط . ولها ظهرت الدولة الرومانية واكتسحت الدولة  
القرطاجنية فرضت سيادتها - ضمن ما فرضت - على طنجة ، والتي عرفت  
ازدهارا تجاريا ضخما بين المغرب - عن طريقها - وبين روما مركز الدولة  
الرومانية . وتوالى الزمن على المدينة ، حتى جاء عقبة بن نافع وموسى بن  
نصير الفاتحان الاسلاميان للمغرب عام 62 هـ ( 681 م ) ، ومن يومها وطنجة  
العربية الاسلامية محافظة على طابعها ، حتى غدت قطعة من المغرب عام  
1956 م ( 1376 هـ ) .

56) الرفق : المعونسة .

57) هند : السيف . ويقال أيضا للمائة من الابل فما فوقها .

58) ذكير : الذكير هو أجود الحديد .

59) القالة : يعنى بها الميناء ، وهى بالاسبانية : La Cala

# طنجة



## المدينة العربية

وسروج ، ومتمتع فروج ، ومطعم قديد ومروج . ديارها نبيهة ،  
وأحوالها - بأحوال جارتها (الاندلس) شبيهة .

لكن رملها يحشو العين بالذرور عند المرور ، ( ويدخل الدور ،  
ويفسد القدور ) ورياحها لا تسكن الا في الندور ، وظلمة جوها  
متسببة عما وراءها من مغرب الشمس والبدور . وعين برقانها - أعذب  
عيونها - مشهور بتوليد الهوج ، قران عند الناس غير ذى عوج ، ويذكر  
أن سليمان اختصها بسجن مردة الجن ، فيعثر بها على ( 120 : أ ) أوان  
ملئت ريحا ، نثير تبريحا (60) ، ويسندون - لذلك - افكا صريحا .

#### 4 - « قصر كتامة » (61)

قلت : فقصر كتامة ؟

قال : مغرد عندليب (62) ، وعنصر بر وحليب ، ومرعى سائمة ،  
ومسرح بهيمة في الجميم هائمة ، ومسقط مزنة عادية وديمة دائمة .  
وبه التفاح النفاح ، ترتاح الى شميمة الارواح ، والفوائد قد ثقلت  
بها الاذواح ، يقذف به السماء والصبح ، ويتفنن فيه الحرام والمباح ،  
والسمك كما جردت الصفاح اذا استبحر الكفاح . وطريقه مسلك  
-القافلة ، وببابه السوق الحافلة . ينسل اليها من غمارة قرود وفهود (63)

(60) تبريحا : شدة وهلاك .

(61) قصر كتامة : اراد به « القصر الكبير » احد مدن الشمال بالمغرب ، على بعد  
25 كم من مدينة العرائش ، كما يبعد عن ساحل المحيط الاطلنطي بنحو  
35 كم .

راجع : ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 15 ص 360 .

(62) الجميم : يقال ارض جميم اى ملساء .

(63) الوان مختلفة من افراد قبيلة غمارة

وأمة صالح وهود ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (64) .  
 الا أنه قور (65) قد تهدم ، ودار الندوة لام ملدم (66) ، ومنتزى لهائج  
 المرار وثائر الدم . جثم الهواء الخبيث في بطيخته وربض ، وانبسط  
 وما انقبض ، وجهاز ليله عسكر البعوض الهاجم ، دربة بمص المحاجم .  
 وأما وحله فلا يعبر ولا يسبر ، وان اسهبت العبارة فالامر أكبر .

## 5 - « أصيلا » (67)

قلت : فأصيلا ؟

قال : كثيرة المرائق ، رافعة في الخصب اللواء الخافق ، ( 120 :  
 ب ) العصير الاثير ، والخوت الكثير ، والادام الذي يرمى به من  
 حكم عليه بالتعزير (68) ، والسفن المترددة فيها الملف (69) والابازير .  
 الا أن حصنها من المنعة برى ، وساكنها بربرى ، وجارها - من غمارة -  
 جـرى .

64 اقتباسا من قوله تعالى : « ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يوم  
 مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود » سورة هود ، آية : 103 .

65 قور : بئر .

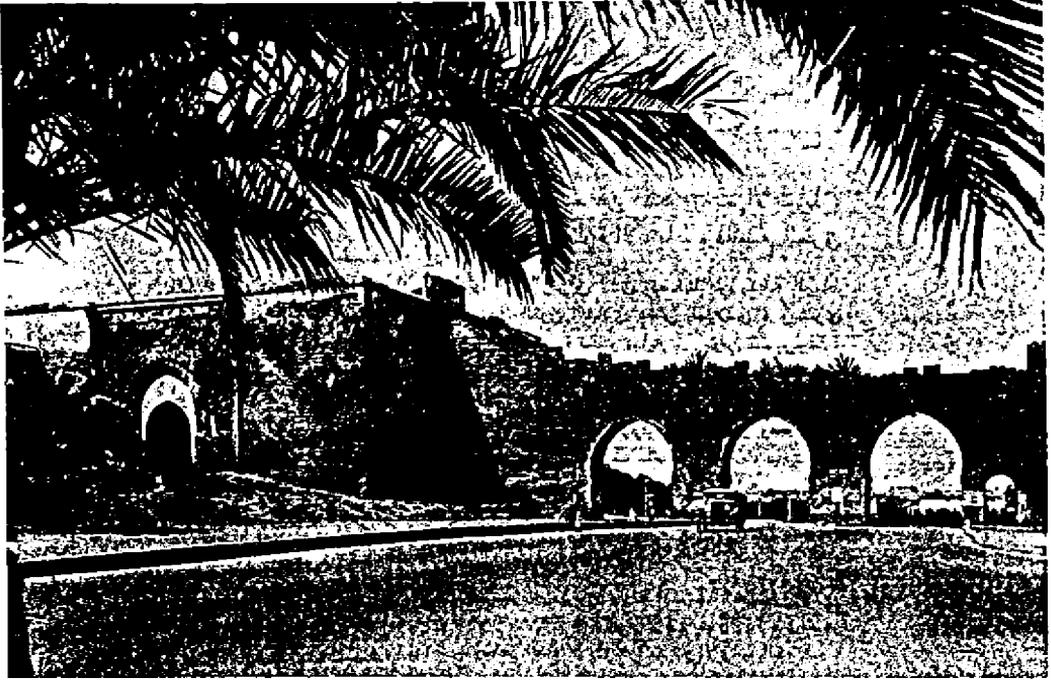
66 ام ملدم : كنية الحمى .

67 أصيلا : هي « Arcila » مدينة صغيرة على ساحل المحيط الاطلنطى ، ينسب  
 اليها الاديب المحدث ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد الاصيلى ،  
 ترأس الكتابة بقرطبة على عهد المستنصر .  
 راجع : ياقوت الحموى « معجم البلدان » ج 15 ص 212 .

68 كتابة عن وفرة الزاد بالبلد .

69 الملف : لفظ شامل للغطاء والكساء .

مسجلا



الاسوار القديمة الاثوية  
( مدخل المدينة الشمالي )

## 6 - « سلا » (70)

قلت : فمدينة سلا ؟

قال العقيلة المفضلة ، والبطيحة المخضلة ، والقاعدة المؤصلة ،  
والسدرة المفصلة . ذات الوسامة والنضارة ، والجامعة بين البداوة  
والحضارة . معدن القطن والكتان ، والمدرسة والمارستان ، والزاوية  
كأنها البستان ، والوادي المتعدد الاجفان ، والقطر الآمن عند الرجفان ،  
والعصير العظيم الشأن ، والاسوق الممتازة حتى برقيق الحبشان .  
اكتنفها المسرح ، والخصب الذي لا يبرح ، والبحر الذي يأسو ويجرح ،  
وثنقها الوادي يتمم محاسنها ويشرح .

وقابلها الرباط (71) ، الذي ظهر به - من المنصور - الاعتباط ،

حيث القصة والسباب (72) ، ووقع منه بنظرة الاعتباط ، فاتسع الخرق

(70) هي Salé مدينة موازية لوادي أبي الرقراق الذي يفصلها عن مدينة الرباط

العاصمة ، يعتقد بأنها تأسست في القرن الحادي عشر الميلادي ، ويرى  
بعض المؤرخين أنها مدينة رومانية قديمة ، نالت عناية بنى مرين فسوروها ،  
وانشأوا بها كثيرا من المرافق العامة ، وتعتبر عمارتها نموذجا للفن المغربي  
الرائع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، ولسلا شهرة صناعية تجارية  
في الجلد والايوانى النحاسية والحديدية ونسج الزرابى والطرز وصناعة  
الحصر ، وهى المدينة التى بقى فيها ابن الخطيب منغيا لمدة ثلاث سنوات  
تقريبا ( 760 - 763 هـ / 1358 - 1361 م ) حيث ألف بها كتابه هذا ضمن  
ضمن كتب اخرى ، حينما جاء الى المغرب مع سلطان غرناطة المخلوع  
« الفنى بالله محمد الخامس ابن الاحمر » .

راجع : المعجم للحوى ج 10 ص 231 .

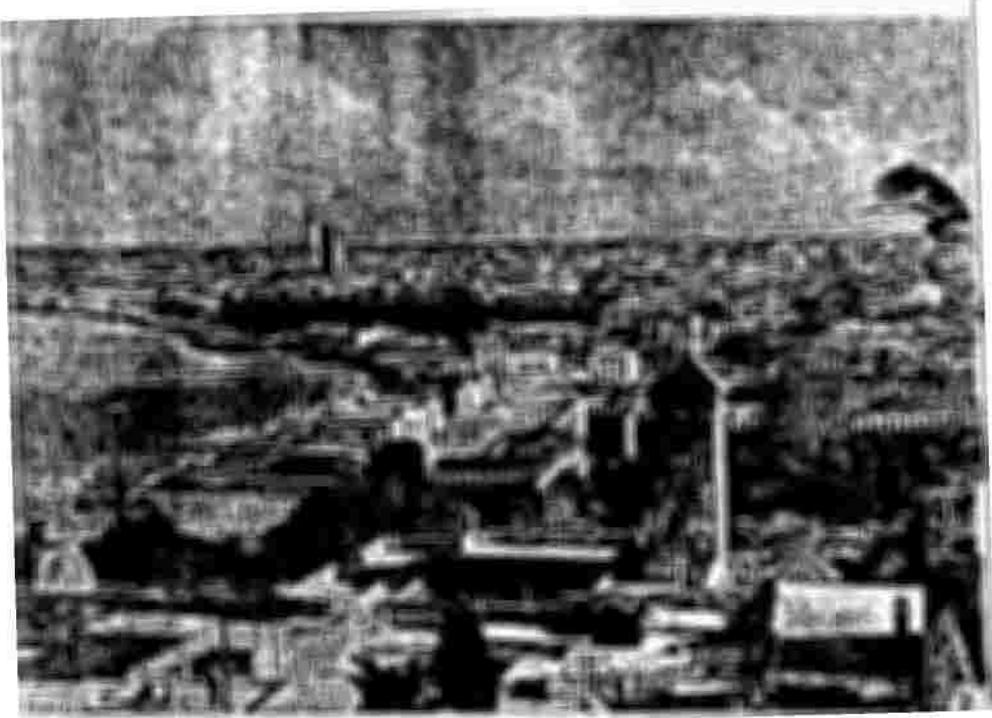
(71) الرباط : « Rabat » هي عاصمة المغرب الادارية، وقد اسسها الخليفة المنصور

أبو يوسف بن عبد المؤمن ، ( 554 هـ 595 هـ ) = ( 1159 - 1198 م ) أشهر  
ملوك الموحدين ، وسماها « رباط الفتح » ، وهى مدينة الابواب العظيمة ،  
اقامها الموحدون ، فقد كانت رباطهم العسكرى ، كما أن بها صومعة حسان  
الشامخة البتراء ، تشرف على المدينة وعلى بقايا اطلال المسجد ، وهذه  
الصومعة من طراز الكتبية بمراكش والخيرالدا بأشبيلية .

راجع : « السلاوى » فى الاستقصا ج 1 ص 16 - 181 .

(72) السباب : ستبينة بين دارين تحتها طريق .

## الرباط



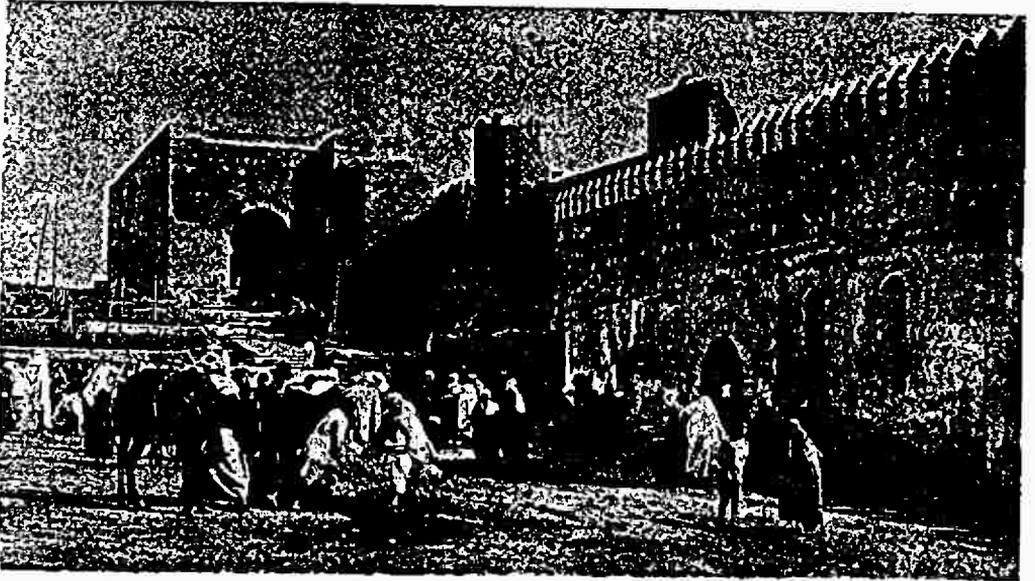
المدينة كما تبدو من وادي ابي الرقراق  
وحيث تطل عليه قصبة الوردانية

مسجد حسن

« الصومعة وبعض الأعمدة »  
- الرباط -



قصة الأوداية



وعظم الأشتطاط ، وبعد الكمال يكون الانحطاط (73) . الى شامة (74) مرعى الذمم ، ونتيجة ( 121 : أ ) الهم ، ( ومشمخ الانوف ذوات الشمم ) (75) وعنوان بسر الديم ، حيث الحسنات المكتتبة ، والاوقاف المرتبة ، والقباب كالأزهار ، مجودة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وطل حسان المثل في الأشتهار .

وهى — على الجملة من غيرها — أوفق ، ومغارمها — لاحترام الملوك الكرام — أرفق ، ومقبرتها المنضدة عجب في الانتظام ، معدودة في المدافن العظام ، وتتأتى بها — للعبادة — الخلوة ، وتوجد عندها — للهموم — السلوة ، كما قال ابن الخطيب :

وصلت حثيث السير فيمن فلا الفلا فلا خاطرى لما نأى وانجلى انجلى  
ولا نسخت — كبرى بقلبى — سلوة فلما سرى فيه نسيم سلا سلا

وكفى بالشابل رزقا طريا ، وسمكا بالتفضيل حريا ، يبرز عدد قطر الديم ، وبياع ببخس القيم ، ويعم حتى المجائر (76) النائبة والخيم الا أن ماءها لا يروى به بارد (77) ، لا كريم ولا بارد ، وأليفها شارد ، والخزين بها فاسد ، ويعوضها مستأسد ، راضع غير مفظوم ، واسم للخد والخرطوم ، بذياك الخرطوم ، خالغ للعدار غير مخطوم ، تصغى

(73) يرمى بهذا الى ما روى عن المنصور مؤسس الرباط عند ما توفى ، من أنه قال: ندمت على ثلاثة أشياء : بناء مدينة الرباط ، واسكان عرب بنى هلال في المغرب ، واطلاق أسرى النصارى ، وهم الذين كان قد أسرهم في موقعة « الارك » الشهيرة ( ربيع الاول 592 هـ = 1195 م ) ، وقد تحققت نبوءة المنصور في العاقبة السيئة لهذه الامور الثلاثة ، فقد اتخذ الفرنسيون مدينة الرباط قاعدة بعد احتلالهم المغرب فيما بعد ، واثار عرب بنى هلال القلائل والفتن في المغرب ، واخذ النصارى بثأرهم في موقعة « العتاب » حيث هزموا المسلمين فيها شر هزيمة ( 15 صفر 609 هـ = 18 يوليو 1212 م ) .

- (74) في نسختى ( ط ، س ) « شالة » وهو الأوفق .  
(75) زيادة في ( س ، ط ) .  
(76) المجائر : يعنى القرى والضياح ، ويقال لها في المغرب الآن « المداشر » .  
(77) في نسخة ( س ) « وارد » وهو أصوب .

— لرئته — الآذان ، ويفتك بوكز السنان ، كالقوس تصمى ( 121 : ب )  
 الرمايا وهى مرنان ( 78 ) ، وديارها — فى الماء — دار عثمان ( 79 ) ،  
 وطواحنها غالية الاثمان ، وكثبانها العفر تلوث بيض الثياب ، طسى  
 العياب ، وعابر وادياها — الى مارب أكيد — فى تنكيد . الى غلبة الامسك ،  
 وخوض النساك ( 80 ) ، وكثرة أرباب الخطط ، ( 81 ) والاغياء فى الشطط ،  
 تذود — عن جناته للاسد — جنان ، ( 82 ) فلا يلتذ — بقطف العنقود  
 منها — بنان ، وفى أهلها خفة ، وميزانها لا تعادل منه كافة .

## 7 — « أنفا » ( 83 )

قلت : فأنفا ؟

قال : جون ( 84 ) الحط والاقلاع ، ومجلب السلاع ، تهدى اليها  
 السفن شارعة ، وتبتدرها مسارعة . تصارف برها الذهبى بالذهب  
 الابريز ، وتراوح برها وتغاديه بالتبريز .

- ( 78 ) قوس مرنان : صلبة مرنة .  
 ( 79 ) يرمى بذلك الى أنه لا ماء فيها ، اذ دار سيدنا عثمان بن عفان الخليفة لم يكن بها  
 ماء أثناء حصاره .  
 ( 80 ) يغلب على اهل البلد البخل ، وعلى نساكها خوضهم فى أعراض الناس .  
 ( 81 ) الخطط : أرباب الوظائف .  
 ( 82 ) جنان : حراس كالجن فى الذب عن البساتين .  
 ( 83 ) انفا : الدار البيضاء « Casablanca » العاصمة التجارية للمغرب الاتصى على  
 ساحل المحيط الاطلنطى ، تشتهر بالانتاج الزراعى والصناعى . وقد وقع  
 عليها اعتداء من الاساطيل البرتغالية عام 1465 م حيث دمرتها تماما ، بسبب  
 منافستها التجارية لشفر قادس ، ولكن أعيد بناؤها عام 1515 م ، وقد تست  
 عليها الطبيعة من البحر فاجتاحت معظمها الامواج عام 1755 م ، ولم تعد  
 مدينة تتطور وتزدهر الا فى عام 1907 م . وهى اليوم كبرى مدن المغرب  
 مساحة ، واعظمها تعدادا للسكان ، ذات مرسى ضخم تبلغ أرضفته مساحة  
 6 كيلومترات . والسكان حاليا يتجاوزون المليون والنصف نسمة تقريبا .  
 ( 84 ) الجون : أحد أنواع القطا ، أسود البطن والجناح ، والجونة : الشمس عند  
 مغيبها والسياق يحتمل أحد المعنيين .

## الدار البيضاء



« منظر حديث المدينة »

يكثر الطير حيث ينتشر الحـ ب وتغشى منازل الكرماء

وخارجها يفضل كل خارج ، وقانصها يجمع بين طائر ودارج ،  
وفواكهها طيبة ، وأمطار عصيرها صيبة ، وكيلها وافر ، وسعرها — عن  
وجه الرخاء — سافر ، وميرتها لا ينقطع لها خوف ولا حافر . لكن ماءها  
وهواءها عديما الصحة ، والعرب عليها في الفتن ملحة ، والأمراض بها  
تعيب وتعبث ، والخزين بها لا يلبث .

### 8 — « أزموور » (85)

قلت : فأزموور ؟

قال : جار واد وريف (86) ، وعروس ربيع وخريف ، وذو وضع  
شريف . أطلت على واديه المنازه ( 122 : أ ) والمراقب ، كأنها النجوم  
الثواقب ، وجلت من خصبه المناقب (87) ، وضمن المرافق نهره المجاور  
وبحره المصاقب (88) . بلد يخزن الاقوات ، ويملا للهوات . باطنه  
الخير ، وادامه اللحم والطير . وساكنه رفيه ، ولباسه يتحد فيه ،  
ومسكنه نبيه ، وحوته الشابل ليس له شيبه . لكن أهله — أنما حرثهم  
وحصادهم — اقتصادهم ، فلا يعرفون أرضاخا (89) ، ولا وردا نضاخا ،

85) أزموور : هي « Azammur » مدينة ساحلية على المحيط الاطلنطي بالمغرب.  
موقعها على الجانب الايسر لمصب وادي أم الربيع ، وعلى مسافة 80 كم  
من الدار البيضاء جنوبا ، وهي مدينة صغيرة مشيدة بجانب رأس صخرى  
عال ، كانت عاصمة اقليم نكالة القديمة .

راجع : J. Leon Africano, Op. Cit. P. 83

والتعريف بابن خلدون ص 44 حاشية 4 .

86) وريف : ممتد واسع .

87) المناقب : الطريق في الجبل .

88) المصاقب : المجاور .

89) أرضاخا : تساهلا .

يتزامون على حبة الخردل (90) بالجنديل (91) ، ويتضاربون على الاثمان الزيوف (92) بالسيوف . بربرى لسانهم ، كثير حسانهم ، قليل احسانهم ، يكثر بينهم - بالعرض - (93) الافتخار ، ويعدم - ببلدهم - الماء والملح والفخار .

## 9 - « تيط » (94)

قلت : فتيط ؟

قال : معدن تقصير ، وبلد بين بحرى ماء وعصير ، ورباط للاولياء به (سرور) (95) ، واغتباط ، ومسجدها تضيق عنه المدائن منارا عاليا ، وبقلادة الاحكام حاليا . الا أن خارجها لا يروق عين المقيم والمسافر ، ولا يشوق بحسن سافر ، ومؤمنه يشقى بصداع كافر ،

90 الخردل : نبات برى ينبت في الحقول مع الزرع ، او على حافة الطرق ، حبه اسود وصغير جدا ، يستعمل في التوابل ، وله فوائد طبية ، كما يستخرج منه الزيت .

91 الجنديل : الصخر العظيم .

92 الاثمان الزيوف : النقود الزائفة .

93 العرض : ضد الجوهر .

94 تيط : هي « Tit » تقع جنوبى مدينة الجديدة ، وهى ضمن اقليم دكالة ، على ساحل المحيط الاطلنطى .

95 زيادة في (س ، ط) .

وحماه عدو كل خف وحافر ، فلولا ساكنه لم ينبس يوم فخر ، ولم ينم  
الا الى صخر (96) .

## 10 - « آسفى » (97)

قلت : فرباط آسفى ؟

قال : لطف خفى ، وجناب حفى ، ووعد وفى ، ودين ظاهره مالكى ،  
وباطنه حنفى . الدماثة والجمال ، والصبر ( 122 : ب ) والاحتمال ،  
والزهد والمال ، والسذاجة والجمال (98) . قليلة الاحزان ، صابرة على  
الاختزان ، وافية المكيال والميزان ، رافعة اللواء ، بصحة الهواء . بلد

96 كناية عن انها بلدة شبه منقطعة عن سواها ، لوعورة الطرق اليها ، كما اسلف  
في وصفها ، وهو يورى بصخر المبكى عليه من أخته الخنساء بنت عمرو بن  
الشريد السلمية ، عاش صخر هذا فيما بين القرنين السادس والسابع  
الميلادى ، وخرج في احدى الغزوات ، فقاتل حتى أصابه جرح ممات ، فحزنت  
عليه أخته اكثر من حزنها على اخيه معاوية ، الذى توفى قبله ، لما للاول من  
أباد كريمة عليها . ولها ديوان خاص في رثاء صخر ، فمن قولها فيه تراثه :

وان صخرًا لتاتم الهداة به كأنه علم على رأسه نار  
جلد جميل المحيا كامل ورع وللحروب غداة الروع مسعار  
جمال الوبية ، هباط أودية شهاد أندية ، للجيش جرار

راجع : الموجز في الادب العربى وتاريخه ، نشر دار المعارف ج 1 ص 204 ،

97 رباط آسفى : هي « Safi » مدينة على ساحل المحيط الاطلنطى بالمغرب ،  
وهى اصلا مؤسسة برتغالية ، كادت تندثر عندما قادرها مؤسسوها ، ولم  
يبق من آثارهم فيها غير حصن عظيم ، وثكنة ، وقصر يسمى « دار البحر » ،  
وترتكز ثروة آسفى على صيد الاسماك ، فهى من أهم مراسى الصيد للسردين  
في العالم ، ومن مرسى آسفى يصدر الفوسفات المستخرج من مناجم  
« كشكاط » ، وتبعد المدينة عن الدار البيضاء بمسافة 252 كم .

98 في نسخة أخرى « والجلال » وهو أنسب .

موصوف ، برفيع ثياب الصوف ، وبه تربة الشيخ أبى محمد صالح (99) .  
وهو خاتمة المراحل ، لمسورات ذلك الساحل . لكن ماءه قليل ، وعزيزه  
— لعادية من يواليه من الاعراب — ذليل (100) .

## 11 — « مراکش » (101)

قلت : فمدينة مراکش ؟

قال : فتنفس الصعداء ، وأسمع البعداء ، وقال : درج الحلى ، وبرج  
النير الجلى ، وتربة الولى ، وحضرة الملك الاولى ، وصرح الناصر  
الولى . ذات المقاصير (102) والقصور ، وغابة الاسد الهصور ،

(99) هو احد رواد الطرق الصوفية ، عاش في اوائل القرن السابع الهجرى ، كان  
يرأس — بهذه البلاد — جمعية لتيسير الحج ، لحراسة القوافل الذاهبة الى  
الاراضى المقدسة .

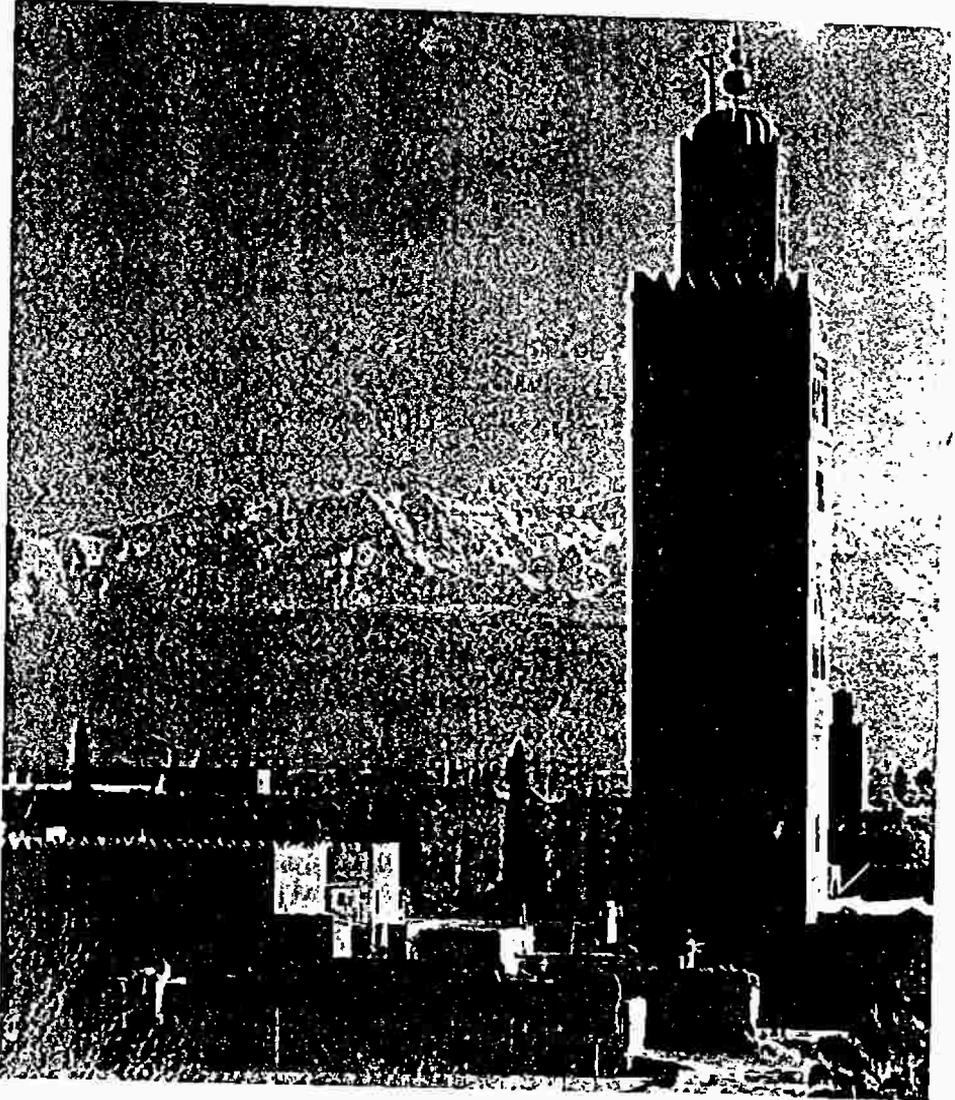
(100) كناية عن كثرة السطو على الموسرين بالمدينة من قبل الاعراب المجاورين  
لها .

(101) هى بالاسبانية « Marraquex » تبعد عن الرباط بمسافة 326 كم ، عاصمة  
الجنوب بالمغرب ، أسسها يوسف بن تاشفين أعظم ملوك المرابطين عام  
454 هـ = 1062 م ، كما بنى بها مسجده المعروف باسم « جامع يوسف » .  
استمرت عاصمة للموحدين كما كانت عاصمة للمرابطين ، ولكن بنى مريـن  
تحولوا عنها الى فاس ، ففقدت مراکش من يومها مركزها السياسى ، وقد  
شيد بها الموحدون جامع الكتبية بمنارته الشهيرة ، كما أن بها من آثار  
السعديين مقابرهم العظيمة . وتشتهر المدينة بصناعة الجلد والصبغة  
والنحاس ، والمنسوجات الوطنية ، والزراوى . وخارجها مزارع الزيتون ،  
وواحات النخيل الشاسعة ، تحوطها جبال الاطلس التى تكسوها الثلوج  
شتاء . وللعلويين بها جنان أكدال التى أنشأها عبد الرحمن بن هشام العلوى ،  
وبها ضريح القاضى عياض ، وأبو العباس السبتي ، وأبو القاسم السهلي ،  
ومحمد بن سليمان الجزولى .

راجع : البغدادي في « مرصد الاطلاع ، على أسماء الامكنة والبقاع » ج 3  
ص 1251 . وكذا : J. Leon. Op. Cit. P. 67-68

(102) المقاصير : ج مقصورة ، وهى الدار الواسعة المحصنة .

## مراكش



صومعة مسجد الكتبية - واحدة من ثلاث ذات هندسة واحدة :  
الخرالدا باشبيلية ، والكتبية بمراكش ، وحسان بالريباط .

وسدة(103) الناصر والمنصور . بعدت عن المركز دارتها ، وجرت — على  
 قطب السياسة — ادارتها ، وسحرت — العيون — شارتها ، وتعبد  
 الاباء اشارتها ، وخاضت — البحر الخضم — نذارتها وبشارتها .  
 اقتعدت البسيط المديد ، واستظهرت بتشبيد الاسوار وأبراج الحديد .  
 وبكى الجبل من خشيتها بعيون العيون ، فسالت المذانب كصفاح القيون ،  
 وقيدت طرف الناظر المفتون ، أدواح الشجر بها وغابات الزيتون .

( 123 : أ ) فما شئت من انفساح السكك ، وسبوع الشكك(104)،  
 وانحلال التلك ، وامتداد الباع في ميدان الانطباع ، وتجديد فنون  
 المجون بالمد والاشباع . زيتها الزمن يعصر ، وخيرها يمد ولا يقصر ،  
 وفواكهها ( لا تحصى ) ولا تحصر . فاذا تناصف الحر والبرد ،  
 وتبسم الزهر وخجل الورد ، وكسا — غدرانها الحائرة — الحلق  
 السرد (105) ، قلت : أنجز — للمتقين من الجنة — الوعد ، وساعد  
 السعد ، وما قلت الا بالذى علمت سعد (106) . ومناها العلم في الفلاة،  
 ومنزلته — في المآذن — منزلة والى الولاية . الا أن هواءها محكم في  
 الجباه والجنوب ( يحمى عليها بكير الجنوب ) (107) وحمياها كلفة  
 بالجسوم ، طالبة ديونها بالرسوم ، وعقاربها كثيرة الدبيب ، منغصة  
 مضاجعة الحبيب ، وخرابها موحش هائل ، وبعد الاقطار — عن كثير من  
 الاوطار — بها — حائل ، وعدوها ينتهب — في الفتن — أقواتها ، وجرذان

- 103 سدة : السدة : المنصب الرميع .  
 104 الشكك : ج شكة ، وهى اللباس يقى لابسه ضربة السلاح .  
 105 السرد : المنتظم المتتابع .  
 106 مثل عربى يضرب فى اسناد الاخبار الى مصادرها ، وهو الشطر الاخير من  
 قول الشاعر :  
 ويمذلى أبناء سعد ليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد  
 107 زيادة فى ( مس ) .

المقابر تأكل أمواتها . وكانت أولى المنازل بالأغياء ، لو أنها — اليوم —  
معدودة في الأحياء (108) .

## 12 — « أغمات » (109)

قلت : فأغمات ؟

قال : بلدة — لحسنا — الاشتهار ، وجنة تجرى من تحتها الانهار ،  
وشمامة تتضوع منها الازهار ، متعددة البساتين ، ( 123 : ب ) طامية  
بحار الزياتين ، كثيرة الفواكه والعنب والتين . خارجها فسيح ، والمذائب  
فيه تسيح ، وهوؤها صحيح ، وقبولها للغريب شحيح ، وماؤها نмир ،  
وماء وردها ممد للبلاد وممير . الا أن أهلها يوصفون بنوك (110) .  
وذحول ، بين شبان وكهول ، وخرابها يهول ، وعدوها تضيق — لكثرته —

108 يرمى بهذا الى ان مراکش قد فقدت مركزها السياسى فى العصر الذى يعيشه  
ابن الخطيب ، وهو عصر المرينيين ، الذين اتخذوا فاس عاصمة لهم ،  
فتحولوا بذلك عن مراکش ، التى ظلت العاصمة فى عهد كل من المرابطين  
والموحدين . هذا ، والاغياء هو : بلوغ الغاية من الشأن .

109 أغمات « Agmat » وقعها قرب مدينة مراکش ، وفى هذه الفترة التى يؤرخ  
لها ابن الخطيب كانت أغمات عبارة عن مدينتين مواجهتين لبعضهما وهما :  
أغمات عيلان ، وأغمات وريكة ، وكان بينهما خصام مستحکم ، فرق بينهما  
حتى فى دور العبادة ، وقد انتهى هذا الخلاف فيما بعد ، واندثرت أغمات  
وريكة وبقيت الأخرى ، وذلك فى القرن السادس عشر الميلادى ، وتشتهر  
المدينة بوفرة مياهها وكثرة بساتينها ، وبها قبر المعتمد بن عباد ملك اشبيلية  
زمن الطوائف ، الذى قبض عليه ملك المغرب يوسف بن تاشفين بعد تغلبه  
عليه عام 480 هـ ( 1087 م ) .

راجع : Discripcion de Africa P. 73. J. Leon Africano,

وكذا : مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، لصفى الدين البغدادى  
ج 1 ص 98 .

110 نوك : حقيق .

السهول ، وأموالها — لعدم المنعة — في غير ضمان ، ونفوسها لا تعرف  
طعم أمان .

### 13 — « مكناسة » (111)

قلت : فمدينة مكناسة ؟

قال : مدينة أصيلة ، وشعب المحاسن وفصييلة ، فضلها الله ورعاها ،  
وأخرج منها ماءها ومرعاها (112) ، فجانبها مريع (113) وخيرها  
سريع ، ووضعها له — في فقه الفضائل — تفريع ، عدل فيها الزمان ،  
وانسدل الامان ، وفاقت — الفواكه — فواكهها ، ولا سيما الرمان ، وحفظ  
— أقواتها — الاختزان ، ولطفت فيها الاوانى والكيزان ، واعتدل  
— للجسوم — الوزان . ودنا — من الحضرة (114) — جوارها ، فكثرت  
قصادها من الفضلاء وزوارها ، وبها المدارس والفقهاء ، ولتصبتها الابهة

---

(111) مكناس أو مكناسة : هي بالاسبانية Mequinez اتخذها المولى اسماعيل  
عاصمة له ( 1673 — 1726 م ) وطبعها بطابع عبقريته . تقع جنوب غرب  
فاس على مسافة 60 كم ، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية التي  
اخذت المدينة أولا ، ويحيط بمكناس نطاق مثلث من أسوار وحصون يبلغ  
طولها 40 كم . من آثارها العتيقة باب منصور ، والاصطبلات القديمة ،  
وبركة البسانين التي تبلغ مساحتها 4 هكتارات مربعة ، وهي على غرار  
بركة مراكش . وتعتبر مكناس اليوم خامس مدن المغرب سكانا ، إذ تتقدمها  
الدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس . ويبلغ تعداد السكان حاليا حوالي  
230 ألف نسمة ، وارتفاعها عن سطح البحر بنحو 522 مترا .

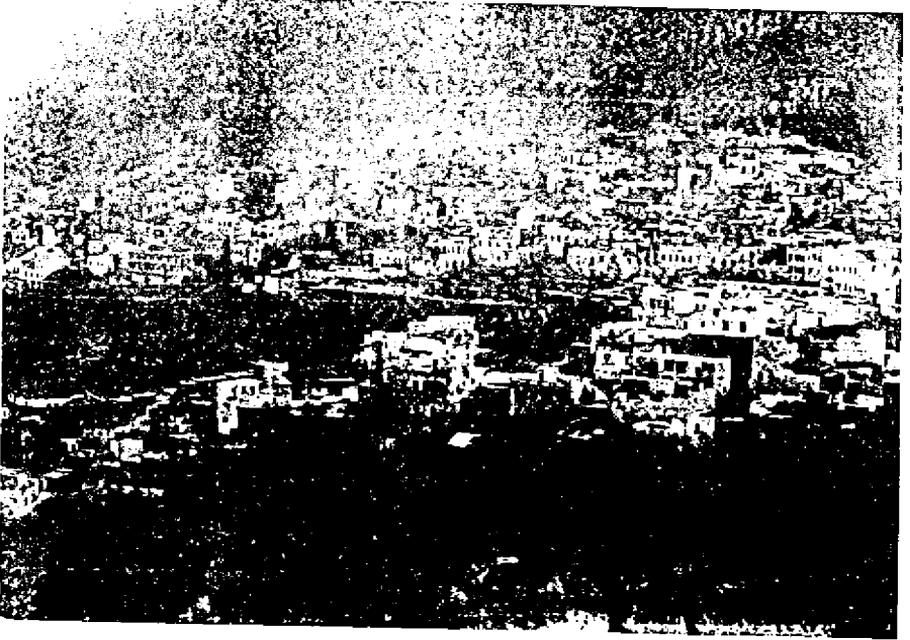
راجع : التعريف بابن خلدون ، ص 221 حاشية 3 ، و « الروض الهتون ،  
في أخبار مكناسة الزيتون » لابن غازي العثماني المكناسي ( ط . القصر الملكي  
بالرباط 1966 م ) بتحقيق عبد الوهاب بن منصور . وكذا مجلة « الثقافة  
المغربية » ج 7 عدد 7 ( 1972 ) تحت عنوان ( التخطيط المعماري لمدينة  
مكناس ) للاستاذ محمد المنوني ، ص 21 — 56 .

(112) اشارة الى قوله تعالى : « أخرج منها ماءها ومرعاها » النزعات : 31 .

(113) مريع : خصب .

(114) يقصد بالحضرة المرينية : فاس العاصمة .

## مکناس



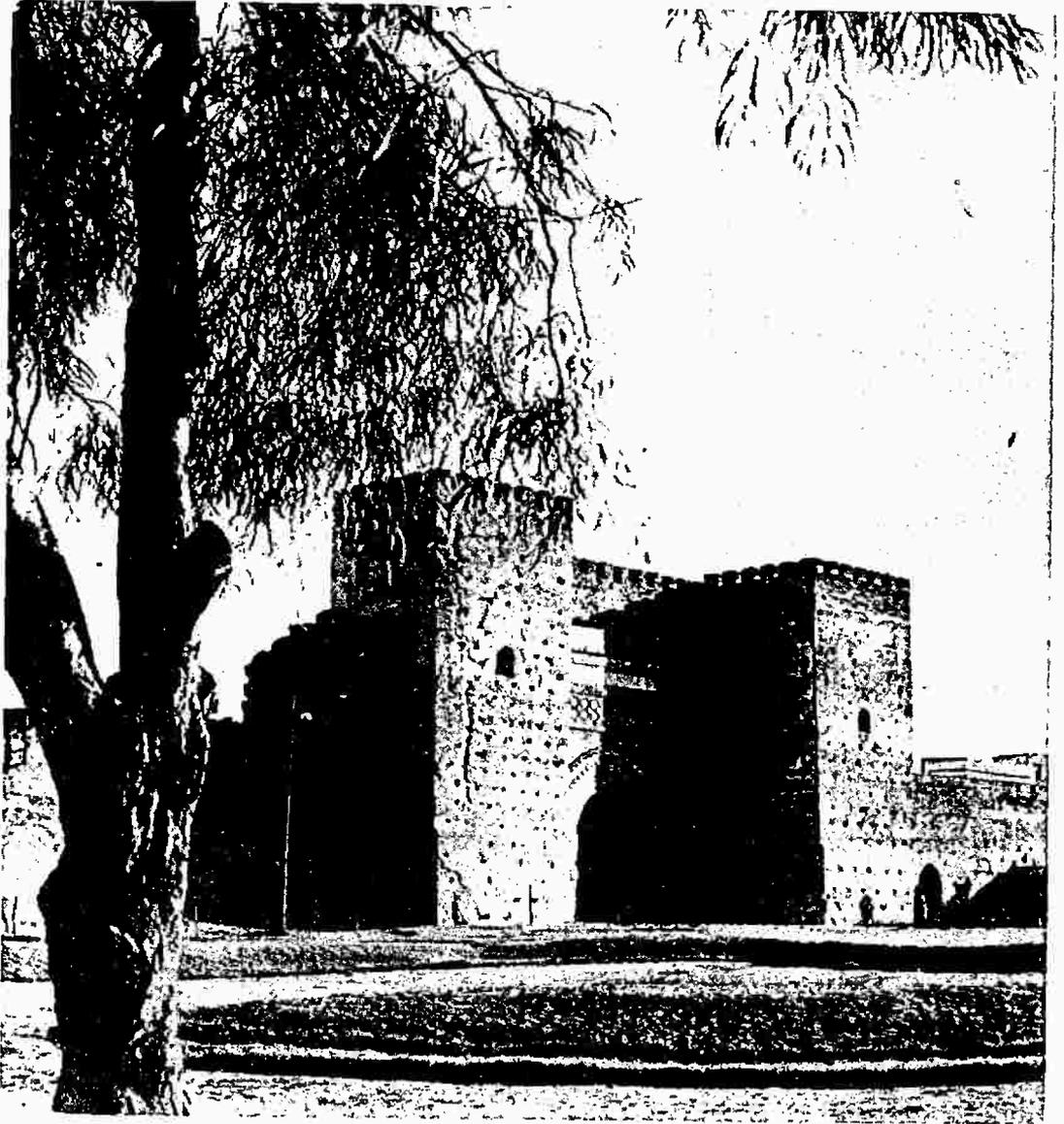
منظر عام لمدينة مكناس

مکناس



منخل شریح مولای اسماعیل

# مكناس



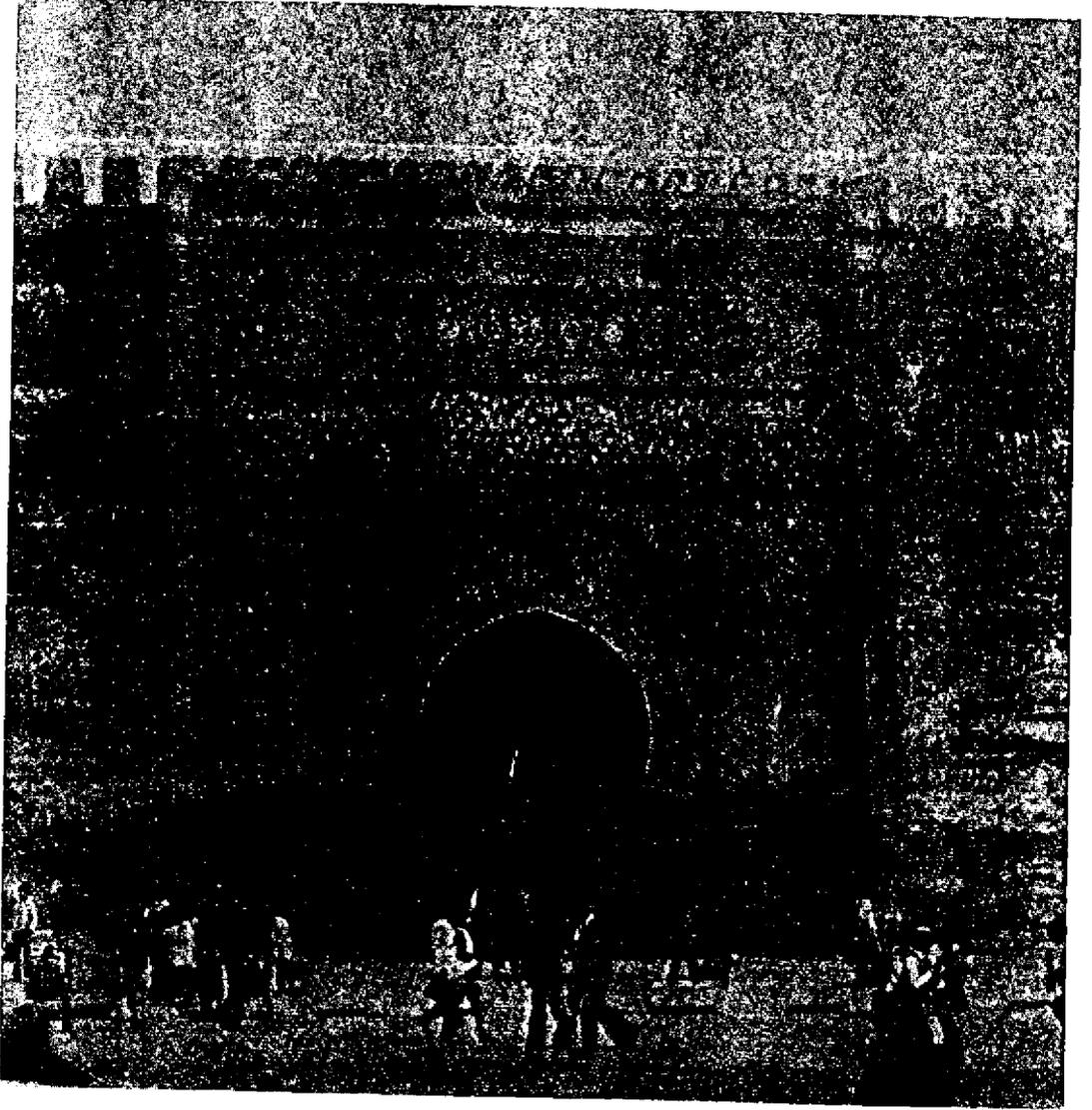
بماب الرىج  
احد المداخل الرئيسة لمدينة مكناس

كنفاس



باب منصور  
المدخل الرئيسي للمنشآت الملكية بانعاصمة الاسماعيلية

مكناس



باب مسجد الأنوار

## فاس



« . . . حيث البنى التي نظر اليها عطار فاستجفاها ، وخاف عليها اوجود ان  
يصيبها بعينه الحسود ، فسترها بالفور واخفاها . . . »

والبهاء ، والمقاصير والابهاء (115) . الا أن طينها ضحضاح (116) ،  
 لذى الظرف فيه افتضاح ، وأزقتها لا يفارقها القدر ، وأسواقها يكثر بها  
 الهذر ، ( وعقاربها لا تبقى ولا تذر ) (117) ، ومقبرتها لا يحتج  
 ( 124 : أ ) عن اهمالها ولا يعتذر .

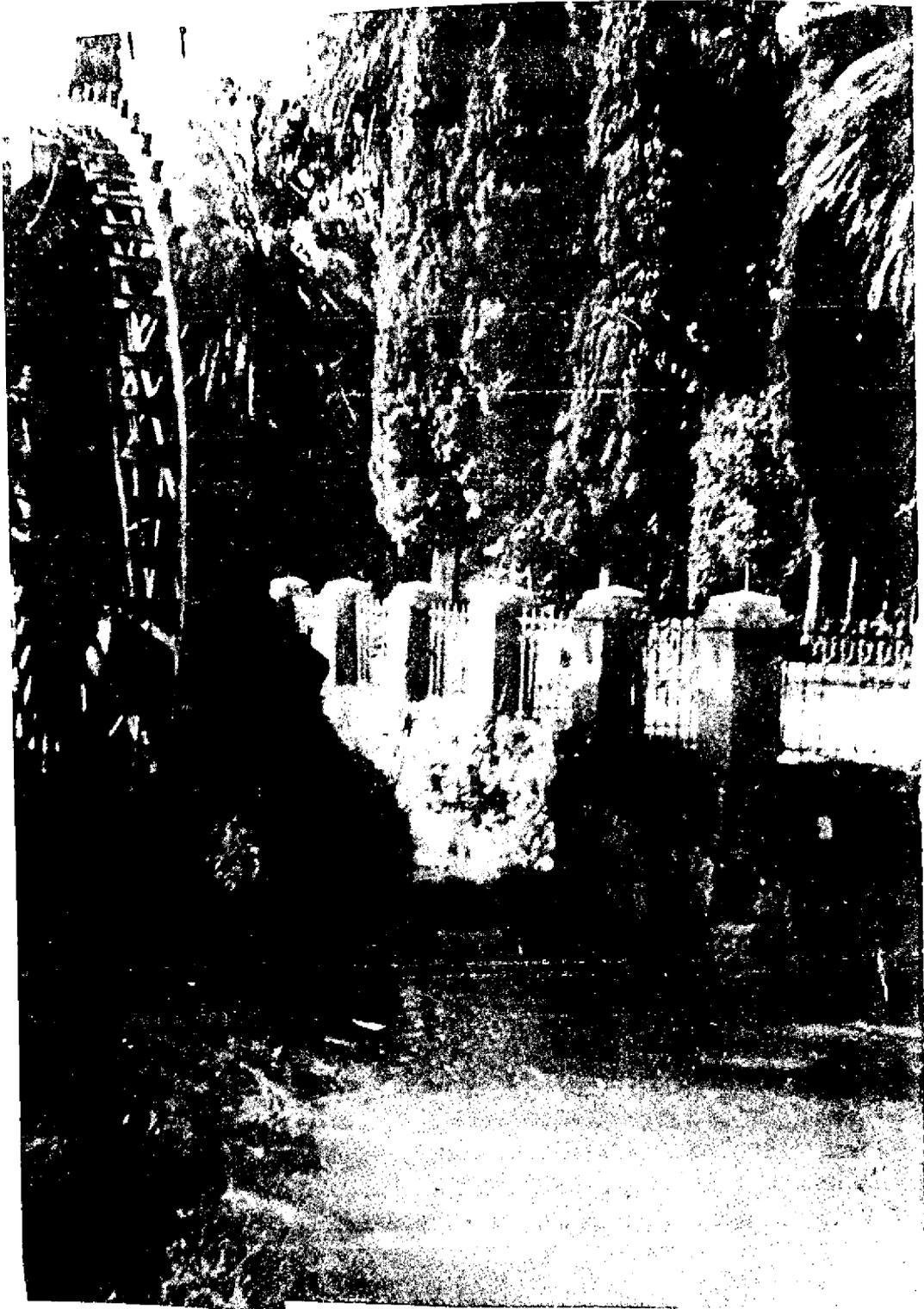
#### 14 - « فـاس » (118)

قلت . فمدينة فاس ؟

فقال :

رعى الله قطرا يثبت الغنى وآفاقه ظل على الدين ممدود  
 نعم العرين ، لاسود بنى مرين ، ودار العبادة التى يشهد بها

- (115) الابهاء ، ج بهو ، وهو : قاعة الاستقبال .  
 (116) يعنى انتشار الاحوال فى طرقات المدينة .  
 (117) زيادة فى نسختى س ، ط .  
 (118) فاس : هى بالاسبانية Fez أسسها المولى أدريس الثانى عام 808 م ،  
 فهى أقدم عواصم المغرب التاريخية ، وتبعد عن « الرباط » العاصمة  
 الادارية حاليا بنحو مائتى كم ، وقد عاصر مؤسسها الامير الاموى الحكم بن  
 هشام بالاندلس ، وهو الذى كان قد نفى وشرد معظم سكان ضاحية الرىض  
 فى قرطبة ، اثر الموقعة الشهيرة التى تغلب فيها على هؤلاء الثائرين ( 202 هـ  
 = 817 م ) فلجأ الرىضيون الى فاس ، وفيها احيوا الصناعات المختلفة ،  
 وطبعوا المدينة بطابع الفن الاندلسى ، ولاسيما فى المعمار ، حتى سميت  
 فاس لذلك « مدينة الاندلسيين » . أما « مدينة القرويين » فهى الضاحية التى  
 عمرها سكان المغرب الادنى ، بعد أن وفدوا من القيروان ، وحيث بنى بها  
 « جامع القرويين » ، الذى أسسته السيدة فاطمة الفهرية الادريسية ، وهو  
 الآن يمثل أقدم جامعات العالم ، ويؤمها الطلاب من كل حدب وصوب .  
 وتجدر الاشارة الى أن مركز فاس السياسى قد تضاعف فى عصر المرابطين  
 ثم الموحدين ، الذين اتخذوا من مراكش عاصمة ، حتى تغلب بنو مريسن  
 فأعادوا الى فاس سابق مجدها ، باتخاذهم اياها العاصمة . أما « فاس  
 الجديد » فهى التى بناها الامير ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى عام



ناعورة في جنان السبيل  
( فـس )

مطرح الجنة ومسجد الصابرين . (119) أم القرى ، وهام السمرى ، وموقد نار الوغى ونار القرى . ومقر العز الذى لا يهضم ، وكرسى الخلافة الاعظم . والجرية (120) التى شقها ثعبان الوادى فما ارتفعت والابية التى ما أذغنت اذعانها للاليلة المرينية ولا أطاعت .  
 أى كلف وكلف ! ومتفق ومختلف ! ومحابة وزلف ! وقضيم وعلف ! وخلف عن سلف ! انما الدنيا أبو دلف (121) ! .

674 هـ = 1275 م ، وقد اطلقت عليها عدة أسماء ، مثل المدينة البيضاء ، والبلد الجديد ، والمدينة الجديدة . وتتصل فاس القديمة بفاس الجديدة عبر حدائق ابي الجنود الغناء ، وتعتبر أبواب فاس غريبة الشكل ، كسباب الدكاكين ، وباب الساكمة ، وباب السمارين .

هذا وتعتبر المدينة فى مقدمة مدن المغرب ثقافيا وصناعيا وتجاريا ، وتزدهر فيها السياحة ، نظرا لما تشتمل عليه - غير ما فكرنا - من آثار هامة ، كالمدرسة البوعنانية ذات الساعة الشمسية الغربية ، ومدرسة العطارين ، ومدرسة المصباحية ، ومسجد الاتدلس ، وزاوية المولى ادريس الثانى مؤسس المدينة ، حيث يوجد بها الضريح . كما توجد قبور الهرينيين على مرتفع يمكن منه رؤية المدينة فى السفح ، وقد أحاطتها الاسوار الاثرية ، فبدت فتنة الناظرين ..

راجع : ابن خلدون فى « العبر » ج 7 ص 194 - 195 ، والسلاوى فى « الاستقصا » ج 2 ص 22 ، ثم :

ود. عبد الهادى التازى فى : « جامع القرويين » .

وانظر : Description de Africa, P.P. 122-148 (juin Léon Africano).

(119) مسجد الصابرين : أحد المعالم الاسلامية بفاس . انظر: مجلة البحث العلمى - السنة الثامنة عشرة - العدد 14 الصادرة بالمغرب .

(120) الجرية : حوصلة الطائر .

(121) هذا التعبير اقتباسا من قول الشاعر العكوك على بن جبلة :

انما الدنيا أبو دلف بين مغزاة ومختصره  
 فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على اثره

وأبو دلف هذا هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى ، أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الاجواد من الشعراء ، كما كان من رجال الرشيد ، ثم ابنه المأمون وقد عقد له الكاتب ابن طيفور فصلا خاصا فى كتابه « بغداد فى تاريخ الخلافة العباسية » عند حديثه عن الخليفة المأمون ، توفى أبو دلف عام 226 هـ . والشهرة بعدئذ واضحة للرجل فى الفنى العريض ، والكرم النادر ...

سألت عن العالم الثاني (122) ، ومحراب السبع المثاني ، ومعنى المغاني ، ومرقص النادب والغاني ، وارم المباني (123) ، ومصلى القاصي والداني . هي الحشر الاول ، والقطب الذي عليه المعول ، والكتاب الذي لا يتأول . بلد المدارك والمدارس ، والمشايخ والفهارس ، وديوان الراجل والفارس . والباب الجامع من موطأ المرافق ، ولواء الملك الخافق ، وتثور الماء الدافق ، ومحشر المؤمن والمنافق ، وسوق الكاسد والنافق ، حيث البني النى نظر اليها عطارد (124) فاستجفاها (125) وخاف عليها الوجود أن يصيبها بعينه ( 124 : ب ) الحسود فسترها بالغور وأخفاها (126) . والاسواق التي — ثمرات كل شيء اليها — قد جبيت ، والموارد التي اختصت بالخضر وحببت ، والمنازه الخطوبة ، وصفاح الخالج المشطوبة ، والغدر التي منها أبو طوبة (127) .

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساره ريش جناحه — الطاووس فكانما الأنهار فيه مدامة وكان ساحات الديار كؤوس

اجتمع بها ما أولده سام وحام ، وعظم الائتام والالتحام ، فلا يعدم في مسالكها زحام . فأحجارها طاحنة ، ومخابزها شاحنة ، وألسنتها — باللغات المختلفة — لائحة ، ومكاتبها مائجة ، ورحابها متمائجة ، وأوقافها جارية ، والهمم فيها — الى الحسنات وأضدادها — متبارية .

(122) ويقصد بالعالم الاول الاندلس .

(123) ارم المباني : علم المباني .

(124) عطارد : نجم سيار قريب من الشمس .

(125) استجفاها : طلب منها البعد ، والتعبير كلية كناية عن علو شان المدينة ومنزلتها السامية .

(126) يعنى أن موقع المدينة في السفح المنخفض ، وهو حسن تليل رائع ، لوقاية المدينة من عين الحسود بموقعها هكذا .

(127) أبو طوبه : الريح الطيبة .

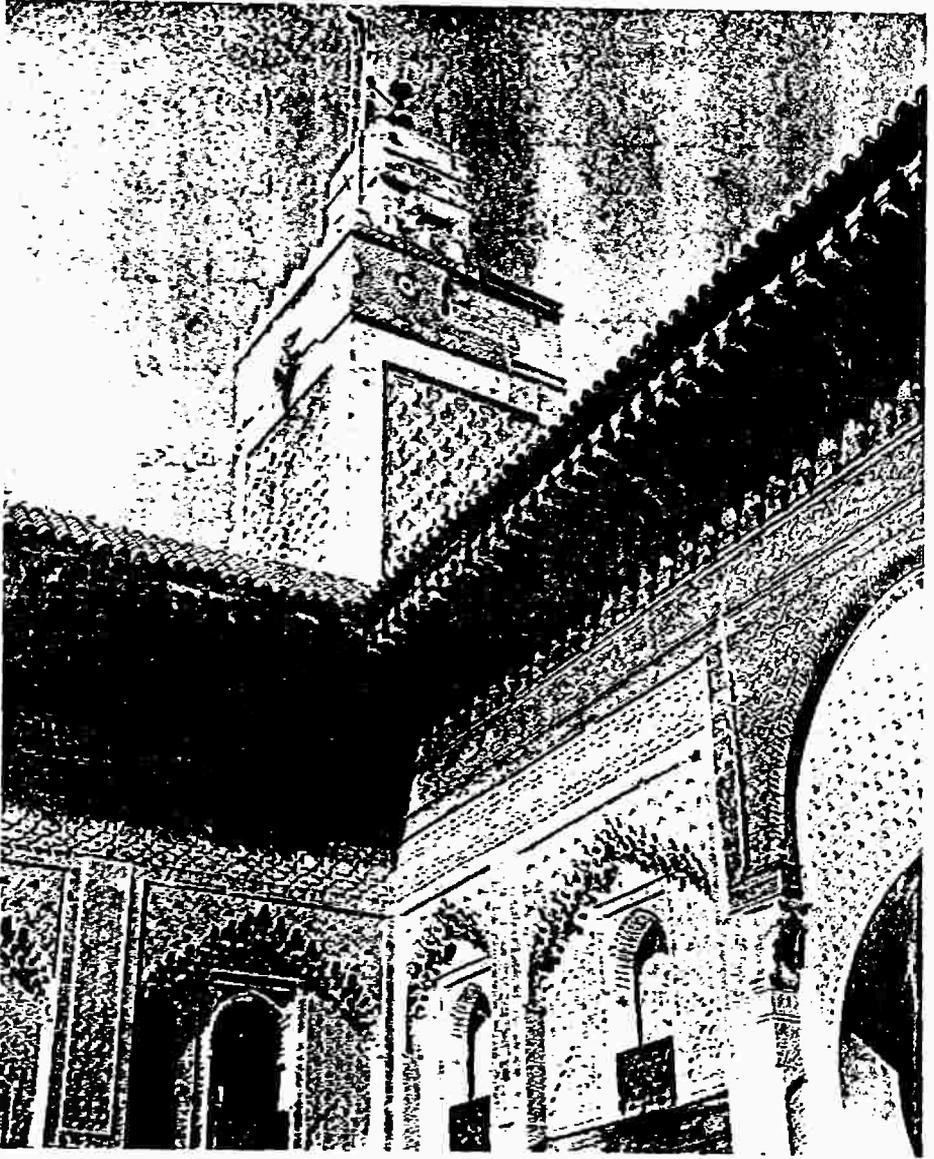
بلد نكاح وأكل ، وضرب وركل ، وامتياز من النساء بحسن زى  
وشكل ، ينتبه بها الباه ، وتتل الجباه ، وتوجد للازواج الاشباه . الى  
وفور النشب (128) ، وكثرة الخشب ووجود الرقيق ، وطيب الدقيق ،  
وامكان الأدام ، وتعدد الخدام ، وعمران المساجد والجوامع ، وادامة  
ذكر الله فى المآذن والصوامع .

وأما مدينة الملك (129) ، فبيضاء كالصباح ، أفق للغرر الصباح ،  
يحتقر - لايوانها - ايوان كسرى ، وترجع العين كسرى ، ومقاعد  
الحرس ، وملاعب ( 125 : أ ) اللبث، المفترس (130) ، ومنابت الدوح  
المفترس ، ومدرس من درس أو درس ، ومجالس الحكم الفصل ،  
وسقائف الترس والنصل ، وأهداف الناشبة أولى الخصل (131) .  
وأواوين الكتاب ، وخزائن محمولات الاقتاب ، وكراسى الحجاب ، وعنصر  
الامر العجاب .

الى الناعورة التى مثلت من الفلك الدوار مثالا ، وأوحى الماء  
الى كل سماء منها أمرها فأبدت امثالها ، ومجت العذب البرود سلسالا ،  
وألقت أكوابها الترفه والترف ، فاذا قاموا الى الصلاة قاموا  
كسالى (132) .

- 
- (128) النشب : نوع من الشجر تستعمل من خشبه القسى .  
(129) مدينة الملك : يقصد بها فاس الجديد .  
(130) كان من عادة ملوك بنى مرين أن يشهدوا فى حلبة خاصة مصارعة بين الثور  
والاسد ، وكثيرا ما كانت تنتهى بانتصار الثور . ولعل هذا أصل مصارعة  
الثيران باسبانيا اليوم .  
(131) الخصل : عود عليه شوك .  
(132) قوراء : قرص مدور متسع المحيط مخروق الوسط ، والناعورة هكذا ، وعليها  
الوانى الفخارية ، وبدوراتها تحمل المياه ، ثم تلقيها من عمل كالشهب  
الراصدة .

فاس



( المدرسة البوعنانية )

وقوراء (133) من قوس الغمام ابتغوا لها  
مثالا أداروها عليه بلا شك

فبين الثريا والثرى سد جرمها  
وللفلك الدوار قد أصبحت تحكى

تصوغ لجين النهر في الروض دائما  
دراهم نور قد خلصن من السبك

وترسل من شهبانها ذا ذؤابة  
فتتنفى استراق السمع عن حوزة الملك (134)

تذكرت العهد الذى اخترعت به  
وحننت فما تنفك سابعة تبكى

ثم قال : الا أن حر هذه المدينة مذيّب ، وساكنها ذيب ، ومسالكها  
وعرة ، وظهائرها مستعرة ، وطينها هائل ، وزحامها حرب وائل (135) .  
ان نشد الجفاء ناشد ، فهى ضالته المنشودة ، أو حشد أصنافه حاشد

---

133 يشير بذلك الى قوله تعالى : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع  
الآن يجد له شهابا رصدا » سورة الجن ، آية : 9 ، وفى هذا — كما فى البيت  
التالى — حسن تعليل لطيف .

134 اقتباسا من قوله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا  
الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا »  
سورة النساء ، آية : 142 .

135 وتعرف بحرب البسوس ، حدثت فى الجاهلية قبيل الاسلام ، وقد قامت بسبب  
ناقة لدار جساس ، قتلها كليب ، فقتل جساس قاتلها كليب ، ودارت الحرب  
بين بكر وتغلب اثر ذلك ، واستمرت قرابة أربعين عاما ، وكانت بينهما فى تلك  
الهدة خمس وقعات شهيرة ، تارة يكون الظهور فيها لبكر ، وتارة لتغلب ،  
وتارة ينتصfan ، حتى تصالحا بعد أن سقط خيرة القبيلتين وزهرة شبابهما ،  
فضرب المثل بحرب وائل ، كما قيل فى التطير فى الامثلة العربية : أشام من  
البسوس .

( 125 : ب ) فهي كتيبته المحشودة . الى بعد الاقطار ، وعيث الميازب  
أوقات الامطار ، والاشتراك في المساكن والديار ، على الموافقة والاختيار ،  
وتجهم الوجوه للغريب ، ذى الطرف المريب ، وغفلة الاملس عن  
الجريب (136) ، ودبيب العقارب ، أرسالا كالقطا القارب (137) . وأهلها  
يرون لانفسهم مزية الفضل ، ويدينون في مكافأة الصنائع البالغة  
بالعضل (138) . يلتقى الرجل أبا مثواه فلا يدعوه الى بيته ، ولا يسمع (139)  
له ببقله ولا زيته (140) ، فلا يطرق الضيف حماهم ، ولا يعرف اسمهم ولا  
مسماهم ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقليل ما هم (141) .  
ومقبرتهم غير نابهة ، وأجدائها غير متشابهة ، مشربة حيوان ، ومشبعة  
جرذان ، غير وان (142) .

## 15 - أقر سلوين (143)

قلت : فما تقول في أقر سلوين ؟

قال : واد عجيب ، وبلد لداعي الايناع مجيب ، مخضر الوهاد ، كثير  
شجر الجوز والزيتون ، كنفته الجبال الشم ، وحنا عليه الطود كما تحنو

- 
- (136) كناية عن ان اهل المدينة يتميزون ومعروفون ، والغريب حينئذ ظاهر بينهم  
مهمل ، لا يلقونه كما يلقون بعضا .  
(137) القطا القارب : القطا الذى يطلب الماء ليلا .  
(138) العضل : بفتح العين وسكون الضاد ، الشدة .  
(139) في نسختى ( ط ، س ) « ولا يسمع » ، وهو ما لا يتناسب والسياق .  
(140) في نسخة ( ط ) « ولا بزيتة » ، وهو أوفق للعطف باعادة الجار .  
(141) اقتباسا من قوله تعالى : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان  
كثيرا من الخلاء ليبغى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
وقليل ما هم ، وظن داود انما فتناه ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا واتاب »  
سورة ص ، آية : 24 .  
(142) غير وان : غير متصر .  
(143) أقر سلوين : يحتمل أن يكون المراد بها قصبه سلوان ، حيث تقطن قبائل  
« بنى يطفنى » ، بالريف شمال المغرب .

على ولدها الام ، فهوؤها ملائم ، والعنب على الفصول دائم . الا أن الشمس لا تطرقه بنوال ، ولا ترمقه الا وقت زوال . قد بء بالحظ الموكوس وانكمش تحت ابط الظل المنكوس ، فجوه عديم الطلاوة ( 126 : أ ) ، وعنبه - للبرد - قليل الحلاوة .

## 16 - « سجلماسة » (144)

قلت : فسجلماسة ؟

قال : تلك كورة (145) ، وقاعدة مذكورة ، ومدينة محمودة مشكورة ، كانت ذات تقديم ، ودار ملك قديم (146) ، وبلد تبر وأديم ، ومنمى تجر ومكسب عديم (147) . معدن التمر ، بحكمة صاحب الخلق والامر ، تتعدد أنواعه ، فتعبي الحساب . وتجم بها فوائده فتحسب الاقتناء والاكتساب . قد استدار بها - لحلق السور - الامر العجاب ، والقطر الذي تحار في ساحته النجاب ، فضرب منه على عذارها الحجاب (148) ، باطنه فيسه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب (149) ، يحيط بها مرحلة راكب ،

144 سجلماسة : يطلق هذا الاسم على مقاطعة في جنوب المغرب تسمى الآن « تافيلالت » .

راجع في هذا : ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ج 5 ص 41 ، والتعريف بابن خلدون ص 40 حاشية 1 .

145 كورة ، أي بلد به قري ومساكن ، يقول الحموي في معجم البلدان « ان الكورة كل صنع يشتمل على عدة قري ، ولا بد لتلك القري من قصبه او مدينة او نهر » ( ج 1 ص 36 ) .

146 يقصد دولة « بنى مدرار » التي عاصرت دولة الادارسة ، فقد اتخذت سجلماسة قاعدة لملكها .

147 أي عديم النظير

148 كناية عن السور المحيط بالمدينة .

149 اقتباسا من قوله تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل : ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » سورة الحديد ، آية : 13 .

ويصيرها سماء مخضرة ذات كواكب . فمنازلها لا تنال بهوان ، وفدنها ودمنها تحت صوان ، ونخلها تطل من خلف الجدار ، وتنبوأ الايمان والدار ، وحالها مبنوثة بين الدمن ، وضياعها تتملك على مر الزمن ، وسوائمها آلفه للسمن ، موجوده بنزر الثمن ، وفواكهها جميمة ، ونعمها عميمة ، وسورها حصين مشيد ، وجسرها يعجز عن مثله معتصم ورشيد (150) . وسقيها يخص دار الملك بحظ معلوم ، ويرجع الى وال يكف كل ( 126 : ب ) ظلوم .

وهي أم البلدان ، المجاورة لحدود السودان ، فتقصدها — بالتبر — القوافل ، وتهدى الى محرابها النوافل ، والرفاهية بها فاشية ، والنشافي (151) الحلية ناشية (152) . لكنها معركة غبار ، وقتيل عقربها جبار (153) ، ولباسها خامل ، والجفاء بها شامل ، والجو يسفر عن الوجه القطوب ، والمطر معدود من الخطوب ، لبناء جدرانها بالاطوب ، والقرع برؤوس أهلها عابث ، والعمش (154) في جفونهم لاث ، والحصا يصيبهم ، ويتوقر (155) منه نصيبهم .

- 
- (150) المعتصم والرشيد ، من اشهر وأعظم خلفاء بنى العباس ، فالمعتصم هو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشيد ، 218 — 227 هـ ( 833 — 842 م ) ، وأما هارون الرشيد فقد حكم من عام ( 170 — 193 هـ ، 786 — 809 م ) ، ويرمى بهذا الى المبالغة في عظم شأن الجسر المؤدى الى المدينة .
- (151) النشافي الحلية : الاحجار ذات النخاريب ، تستعملها النساء في الحمامات .
- (152) ناشية : ذات رائحة طيبة .
- (153) جبار : هدر ، وذهب دم القتيل جبارا ، أى لم يؤخذ له بالقصاص ولا بالدية .
- (154) العمش : ضعف بالبصر تصحبه الدموع .
- (155) في نسختى (س ، ط) « يتوقر » ، والصواب في نسختنا .

## 17 - « تازة » (156)

قلت : فتازا ؟

قال : بلد امتناع ، وكشف قناع ، ومحل ريع وايناع ، ووطن طاب ماؤه ، ( وضح ) هواؤه ، وبان شرافه واعتلاؤه ، وجلت فيه مواهب الله وآلاؤه . عصير مثل ، وأمر الخصب به ممثّل ، وفواكه لا تحصى ، يماربها (157) البلد الاقصى ، وحبوبه تدوم على الخزن ، وغخاره آية في لطافة الجرم وخفة الوزن . الا أن ريحه عاصف ، وبرده لا يصفه واصف ، وأهله في وبال ، من معرفة أهل الجبال ، وليوثه مفترسة ، وأخلاق أهلـه شرسـة .

## 18 - غساسنة (258)

قلت : فغساسنة ؟

156 تازة : « Taza » تبعد هذه المدينة المغربية عن فاس بنحو 119 كم ، كما تبعد عن مدينة وجدة بمسافة 230 كم . وتتمتع بموقع جغرافي هام ، مما جعلها تتخذ على مر العصور قاعدة حربية ، هكذا فعل ادريس الثاني ، كما اتخذها عبد المؤمن الموحدى حصنا هاما ، وفي عهد بنى مرين جعل منها ابو يعقوب المريني قاعدة لغزو تلمسان ، وهي قرب نهر « اناون » على آخر الجبال المحاذية للاطلس المتوسط ، والمواجهة لجبال الريف ، وقد تأسست في القرن الثامن الميلادي . من آثار المرينيين بها المدرسة والجامع الاعظم ، وهما آيتان في روعة الفن الاندلسي المغربي .

راجع : التمرّيف بابن خلدون ص 134 حاشية 2 ، وتاج العروس ج 4 ص 12

157 يمار : يمون .

158 غساسنة : مدينة ذات موقع يقرب من مصب نهر ملوية  $\delta\eta\eta\eta\eta\eta$  بالبحر المتوسط ، وقد كانت هذه المدينة - يومئذ - مقرا لقنائل بطوية  $Buthoia$  ومن قبل فهي مرسى له أهميته ، يقع غرب مليلية ، أجهز عليه الاستعمار الاسباني عام 1496 م ، ويعتقد أن عبد الرحمن الداخل أبحر من « غساسنة » الى الاندلس ، كما نزل بها عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك بنى نصر اثر سقوط غرناطة ( 2 يناير 1492 م ) ، كما ان هذه المدينة التي أندثرت « كانت

قال : فريسة وأكيلة ، وحشف وسوء كيلة (259) . الا أنها مرسى  
مرسى مطروق ، بكل ما يروق ، ومرفاً جارية ( 127 : أ ) بحرية ،  
ومحط جباية تجرية .

## 19 - تلمسان (260)

قلت : فمدينة تلمسان ؟

قال : تلمسان مدينة جمعت بين الصحراء والريف، ووضعت في موضع

المعبر المفضل للمهمات السرية والسريعة « ولذلك يشير ابن الخطيب في  
وصفها .

راجع : ابن خلدون في « العبر » ج 6 ص 101 وانظر : د. عبد الهادي التازي  
في مجلة « البحث العلمي » ( عدد 24 من السنة 12 ص 13 ) تحت  
عنوان « الثغور المغربية بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي » .  
هذا التعبير كناية عن سوء الخارج من المحاصيل الزراعية ، بالإضافة السى  
غش أربابها لها ، وبهذا يشير المؤلف الى المثل العربي ( أحشفا وسوء  
كيلة !! ) الذى يضرب للظلم يلحق صاحبه مضاعفا .

تذكر المعاجم والمؤرخات أن كلمة « تلمسان » مركبة من « تلم » ومعناه :  
لها ، « وشان » أى : لها شأن ، ثم صرفت الشين — بمرور الزمن — الى  
السين . وذكر المقرئ نقلا عن الكاتب أبى زكريا يحيى ابن خلدون من كتابه  
« بغية الرواد » ، فى أخبار بنى عبد الواد ، وإيام أبى حمو الشامخة الاطواد ،  
بعد كلام فى شأن البربر ما صورته : « ودار ملكهم وسط بين الصحراء  
والتل ، تسمى بلغة البربر « تلمس » كلمة مركبة من « تلم » ومعناه : تجمع  
« سن » ومعناه : اثنان ، أى الصحراء والتل ، فيما ذكره شنيخنا العلامة أبو  
عبد الله الايلى ، رحمه الله ، وكان حافظا بلسان القوم » .

وتقع المدينة غرب الجزائر ، وهى مركز للمحافظة التى تسمى باسمها ، ويبلغ  
عدد سكانها حوالى 85.000 نسمة ، وتشتهر بينابيعها وكرومها وصناعاتها  
المحلية ، والتى اهمها السجاد والجلود ومعامل النسيج . وللمدينة شهرة  
علمية تاريخية ، كما كانت سوقا تجارية هامة ، ولا سيما فى عهد المرابطين  
الذين أسسوا بها « المسجد الكبير » . وقد اتخذها بنو عبد الواد عاصمة  
المغرب الاوسط ، وقد أخذت شهرتها فى الاضحلال ، منذ الاحتلال العثماني .  
من مشاهير علمائها أبو اسحاق الانصارى ( 1212 — 1291 م ) وغيره من  
فتحاء العصر الاسلامى الوسيط .

راجع : المقرئ فى « نفع الطيب » ج 9 ص 331 — 342 ( تحقيق محى الدين  
عبد الحميد — القاهرة 1369 هـ ) .

شريف . كأنها ملك على رأسه تاجه ، وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه  
عبادها يدها ، وكهفها كفها ، وزينتها زيانها ، وعينها أعيانها . هواء المقصور  
بها فريد ، وهوؤها الممدود صحيح عتيد ، وماؤها برود صريد . حجبها  
أيدي القدرة عن الجنوب ، فلا نحول فيها ولا شحوب .

خزانة زرع ، ومسرح ضرع . فواكهها عديدة الانواع ، ومتاجرها  
فريدة الانتفاع ، وبرانسها رقاق رفاع .

الا أنها بسبب حب الملوك (161) ، مطمعة للملوك ، ومن أجل  
، مغلوبة للأمرا . أهلها ليس عندهم (162) جمعها الصيد في جوف الفرا  
الراحة ، الا فيما قبضت عليه الراحة ، ولا فلاحه ، الا امن أقام رسم  
الفلاحه . ليس بها لسع العقارب ، الا فيما بين الاقارب ، ولا  
شطارة (163) الا فيمن ارتكب الخطارة (164)

ثم لما وصل الى هذا الحد ، نظر الى حاج السوق (165) قد أفاض ،  
ومزاده قد أعمل فيه الانفاض ، وعلو الاصوات به قد صار الى الانخفاض ،  
فقال : وجب اعتناء بالرحيل واهتمام ، وكل شيء الى تمام . ومددت يدي  
الى الوعاء فخرقته ، والى العين غأرقته ، وقلت له : لاحمك من كرام  
بنى الاصفر ، في العدد الاوفر ، ماثلة في اللباس المزعفر ، فلما خضب كفيه  
بحنائها ، وحصلت النفس على استغنائها ، استدنانى ، وشبك بنانه ببنائى ،  
وقال : لاحبط عملك ، ولا خاب أملك ، ولا عدم — المرعى الخصيب —

(161) حب الملوك فاكهة صيفية ، ولاسيما في مناطق الجزائر والمغرب ، ويتقام  
« مهرجان » خاص في مدينة صفرو المغربية في موسم هذه الفاكهة حتى الآن .

(162) اشارة الى المثل المشهور « كل الصيد في جوف الفرا » .

(163) الشطارة ، بفتح الشين ، الخبث ، وتقول ، « شطر فلان شطارة — من باب  
ضرب — فهو شاطر » وذلك اذا أعبأ أهله خبثا .

(164) الخطارة : ما يراهن عليه وهو السابق .

(165) حاج السوق : المشتري بالسوق ، والمحتاج فيه .

هملك ، فنعم مغلى البضائع ، وحافظ الفضل الضائع ، ومقتنى الفوائد ،  
ومعود العوائد . واستثبت مخيلته ، فاذا الشيخ وتلميذه ، وحمارة  
ونبيذه ، قد تنكر بالخضاب المموه ، والزى المنوه ، وعاث بخد الغلام  
الشعر المشوه . فقلت : هيه (166) ، أبت المعارف أن تتنكر ، والصبح أن  
يجحد أو ينكر ، كيف الحال بعدى ؟ وما اعتذارك عن اخلاف وعدى ؟  
فقال :

خذ من زمانك ما تيسر      واترك بجهدك ما تعسر  
ولرب مجمل حالة      ترضى به ما لم يفسر  
والدهر ليس بدائم      لا بد أن سيسوء ان سر  
(127 : ب) واكتم حديثك جاها      شمت المحدث أو تحسر  
والناس آنية الزجاج      اذا عثرت به تكسر  
لا تعدم التقوى ، فمن      عدم التقى فى الناس أعسر  
وإذا امرؤ خسر الآله      فليس خلق - منه - أخسر

ثم ضرب جنب الحمار ، واختلط فى الغمار (167) ، وتركنى  
أتقرى الآثار ، وكل نظيم (168) ، فالى انتثار .

### تمت والحمد لله (169)

(166) هيه : كلمة تعال لطلب الاستزادة .

(167) الغمار : زحمة الناس .

(168) فى نسختى س ، ط « نظم » ، ولعل الصواب فى نسختنا ، اذ فعيل هنا بمعنى  
مفعول أى : منظوم .

(169) زيادة - فيما اعتقد - من وضع الناسخ .



# مصادر التحقيق والدراسة



## أ - المصادر العربية

- (1) ابن الأحمر : ( الامير أبو الوليد اسماعيل بن يوسف النصرى )  
(ت. 810 هـ - 1325 م )  
(2) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان  
دراسة وتحقيق : محمد رضوان الدايسة ( بيروت 1967 م )  
(1) نثر الجمان في شعر من نظمى واياه الزمان  
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1863 - ادب
- (2) ابن بطوطة : ( أبو عبد الله محمد عبد الله الطنجى ) .  
(ت. 779 هـ - 1377 م )  
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ج 2 ( القاهرة 1938 )
- (3) ابن الخطيب : ( لسان الدين أبو عبد الله محمد )  
( ت. 776 هـ - 1374 م )  
(1) الاحاطة في اخبار غرناطة  
نسخة خطية بالاسكوريال رقم 1673 ونسختان خطيتان بالاكاديمية  
الملكية التاريخية بمدريد تحت رقمى 34 ، 142 وتوجد النسخة  
مطبوعة في جزاين ( القاهرة 1319 هـ ) كما توجد نسخة خطية أخرى  
برواق المغاربة بالازهر . وقد نشر الاستاذ عبد الله عنان الجزء  
الاول من كتاب الاحاطة في مجموعة ذخائر العرب .  
(ب) نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ،  
تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى القاهرة - 1948 م )  
(ج) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، مخطوط بالاسكوريال رقم 1825  
وقد نشر جزءا كبيرا منه العالم الاسبانى جاسبار ريميرو تحت  
عنوان :  
Gaspar Remiro. Correspondencia diplomatica entre granada y Fez en el  
siglo XLV.
- (د) أعمال الاعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلا  
نشره ليفى بروفنسال في طبعتين ( رباط 1934 ) ، بيروت 1956 .  
نشر محمد بن تاويت الطنجى ، القاهرة 1951 .  
(هـ) كناسة الدكان بعد انتقال السكان  
نشر وتحقيق د. محمد كمال شبانه - دار الكتاب العربى بالقاهرة  
1347 هـ )  
(س) رقم الحال في نظم الدول ( تونس 1317 )

- 4) **أبن خلدون :** ( عبد الرحمن بن محمد )  
 ( ت. 808 هـ — 1405 م )  
 أ — المقدمة ( نشر مصطفى محمد بالقاهرة )  
 ب — كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر ( 7 أجزاء بما في ذلك المقدمة ) ،  
 القاهرة 1284 .  
 ج — التعريف بأبن خلدون ورحلته غربا وشرقا  
 نشر محمد بن تاويست الطنجي ، القاهرة 1951
- 5) **الادريسي :** ( صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ) عن ( نزهة  
 المشتاق ) نشر دوزي ودي خويه ( ليدن 1866 م )
- 6) **ابن غازي :** ( محمد بن أحمد العثماني المكناسي )  
 ( 841 — 919 هـ )  
 ( الروض الهمتون في أخبار مكناسة الزيتون )  
 تحقيق عبد الوهاب بن منصور ( الرباط 1964 )
- 7) **أبن القاضي ( أحمد بن محمد بن أحمد )**  
 عاش في القرن السابع عشر الميلادي .  
 أ — جذوة الاقتباس فيمن حل من العلماء مدينة فاس  
 ( بماس 1309 ) .  
 ب — درة الحجال في غرة أسماء الرجال 2 ج  
 ( نشر علوش ، رباط 1934 م )
- 8) **أبو نواس :** ( أبو الحسن بن هانيء )  
 ( ت. 813 م — 198 هـ )  
 ديوان أبي نواس بتحقيق « إيفالد فاغر » — ( طبعة القاهرة 1958 )
- 9) **الجاحظ :** ( أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى )  
 ( ت. 255 هـ — 868 م )  
 « البيان والتبيين »  
 تحقيق عبد السلام هارون طبعة ( القاهرة 1948 م ) .
- 10) **الجواليقي ( منصور بن أحمد الخضر )**  
 « المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم » .  
 تحقيق أحمد محمد شاكر ( دار الكتب المصرية بالقاهرة 1361 هـ )

- (11) **( جمال :** الدين محمد بن سالم بن نصر الله )  
( ت. 697 هـ - 1394 م )  
تجريدة الاغانى للاصبهانى
- (12) **الحميرى :** ( ابن عبد المنعم )  
عاش في القرن الثامن الهجرى .  
الروض المعطار في خبر الاقطار .  
نشره ليفى بروفنسال .  
( ليدن 1938 )
- (13) **السباعى :** ( بيومى )  
« تاريخ القصة والنقد في الادب العربى »  
( القاهرة 1956 ) .
- (14) **السلوى :** ( شهاب الدين محمد بن خالد الناصرى )  
ت. 1319 هـ - 1901 م  
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ( 4 اجزاء في مجلدين )  
القاهرة 1894 م ..
- (15) **شيبانہ :** ( دكتور محمد كمال احمد )  
يوسف الاول ابن الاحمر ، سلطان غرناطة ( القاهرة 1969 م )
- (16) **الطبرى :** ( ابو جعفر محمد بن جرير )  
( ت 922 م - 310 هـ )  
« تاريخ الامم والملوك » ( 12 جزءا طبعة القاهرة 1908 )
- (17) **عفان :** ( محمد عبد الله ) معاصر  
( لسان الدين ابن الخطيب ) .  
( القاهرة 1968 م )
- (18) **القاسندى :** ( ابو العباس احمد بن على )  
ت 821 هـ - 1418 م  
صبح الاعشى في صناعة الانشا 14 جزءا  
( القاهرة 1212 - 1219 هـ )

## المصادر الأجنبية

1. Ballesteros, A. :  
Historia De Espana, Tomo III.  
(Barcelona-Buenos Aires 1948)
2. GARIOS DE LUNA, JOSE :  
Historia De Gibraltar (Madrid 1944).
3. LEVI PROVENCAL, E. :  
La peninsule iberique Du Moyen-Age d'après le Kitab Al-Rawd al Mi-  
tar, D'Ibn Abd al Munim al Himyari. (Tetuan 1950).
4. LEON AFRICANO, JUAN (A) HASAN IBN MUHAMMAD ALWAZZAN  
AL-FASI) :  
Description De Africa y De las cosas notables que en ella se encuen-  
tran.  
(INSTITUTO GENERAL FRANCO-TETUAN 1952)
5. MULLER, MARCUS JOSEPH :  
Beitrag zur Geschichte der westlichen araber (Munchen 1866)
6. SECO DE LUCENA, LOUIS :  
Sobre el viaje de Ibn Battuta al Reinocle Granada (Al Andalus, Vol,  
XVI 1951).
7. SIMONET, FRANCISCO JAVIER :  
Descripcion del Reine de Granada bajo la dominacion de los Naza-  
ritas.  
(Madrid 1860).